قاعده فى الصفات والقدر

تصنيف شيخنا شيخ الاسلام وناصر السنه فريد الوقت حبر العلوم
بقيه المجتهدين وقدوه المتاخرين تاج العارفين لسان المتكلمين
رحله الطالبين محيه الراسخين امام الزاهدين الاوحد الحجه النورانى
والعالم المتقن الربانى المقدوف فى قلبه النور الالهى والعلوم
الرفيعه والفنون البديعه والاخذ بازمه الشريعه الجامع
لانواع المحاسن الحاوى من الصفات الاحاسن فالاحاسن
تقى الدين ابو العباس احمد بن شيخنا الامام العالم العلامه شهاب
الدين هو الاسلام شرف الانام مفتى الشام ابى المحاسن عبد الحليم
ابن شيخنا الامام القدوه العلامه مجد الدين ضيا الاسلام شرف
الانام رئيس الاصحاب شيخ المذاهب سيد العلما والفضلاء
ابى البركات عبد السلام بن عبد الله بن ابى القاسم بن محمد بن تيميه
الحرانى نفعنا الله بعلومه الفاخره واثابه فى الدنيا والاخره
واسبغ عليه نعمه باطنه وظاهره بمنه وكرمه وحسن لطفه

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما اما بعد
فقد سألني من تعينت اجابتهم ان اكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في
بعض المجالس من الكلام في التوحيد والصفات وفي الشرع والقدر
لمسيس الحاجة الى تحقيق هذين الاصلين وكثرة الاضطراب فيهما
فانهما مع حاجة كل احد اليهما وان اهل النظر والعلم والارادة
والعبادة لا بد لهم ان يخطر لهم في ذلك من الخواطر والاقوال ما يحتاجون
معه الى بيان الهدى من الضلال لا سيما مع كثرة من خاض في ذلك بالحق
تارة وبالباطل تارات وما يعتري القلوب في ذلك من الشبه
التي توقعها في انواع الضلالات فالكلام في باب التوحيد والصفات
هو من باب الخبر الدائر بين النفي والاثبات والكلام في الشرع والقدر
هو من باب الطلب والارادة الدائر بين الارادة والمحبة وبين الكراهة
والبغض نفيا واثباتا والانسان يجد في نفسه الفرق بين النفي
والاثبات وبين التصديق والتكذيب وبين الحب والبغض والرضى

والمنع حتى ان الفرق بين هذا النوع وبين النوع الاخر معروف
عند العامة والخاصة معروف عند اصناف المتكلمين في العلم كما
ذكر الفقيه ذلك في كتاب الايمان وذكر المتكلمون للكلام من
اهل النظر والنحو والبيان فذكروا ان الكلام نوعان خبر وانشاء
والخبر دايرين النفي والاثبات والانشاء امر او نهي او اباحة
واذا كان كذلك فلابد للعبد ان يثبت لله ما يجب اثباته له من صفات
الكمال وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال
ولابد له في احكامه من ان يثبت خلقه وامره فيؤمن بخلقه
المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت امره المتضمن
بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل ويؤمن بشرعه وقدره
ايمانا خاليا من الزلل وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده
لا شريك له وهو التوحيد في القصد والارادة والعمل والاول
يتضمن التوحيد في العلم والقول كما دلت على هذا سورة قل
هو الله احد ودلت على الاخر سورة قل يا ايها الكافرون
وهما سورتا الاخلاص وبهما كان يقرأ صلى الله عليه وسلم بعد
الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغيرهما فاما الاول
وهو التوحيد في الصفات فالاصل في هذا الباب ان وصف الله

البيهقي

الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيا واثباتا
فيثبت لله تعالى ما اثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم
ان طريقة سلف الامة واعيتها اثبات ما اثبته لنفسه من الصفات
من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وذلك ينفون عنه
ما نفاه عن نفسه مع ما اثبته من الصفات من غير الحاد لا في
اسمايه ولا في الياته فان الله ذم الذين يلحدون في اسمايه
وآياته كما قال تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين
يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون وقال تعالى ان
الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من ياتي
امنا يوم القيمة اعملوا ما شيتم انه بما تعملون بصير فطريقتهم تتضمن
اثبات الاسما والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه
وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى ليس كمثله شي وهو السميع البصير
ففي قوله ليس كمثله شي رد للتشبيه والتمثيل وقوله وهو
السميع البصير رد للالحاد والتعطيل والله سبحانه وتعالى
بعث رسله باثبات مفصل ونفي مجمل فاثبتوا له الصفات على
وجه التفصيل ونفوا عنه ما يبطل له من التشبيه والتمثيل كما قال
تعالى فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا قال

أهل اللغة هل تعلم له سميا اى نظيرا يستحق مثل اسمه ويقال
مسامیا یسامیه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس هل تعلم له
مثلا أو يشبهه وقال تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد وقال تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وقال
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين
آمنوا أشد حبا لله وقال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن
وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون
بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم وقال تعالى تبارك
الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له
ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك
وقال تعالى فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون الى قوله الا
عباد الله المخلصين الى قوله سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فسبح نفسه
عما يصفه المفترون المشركون وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه
من الافك والشرك وحمد نفسه سبحانه اذ هو المستحق بما له من
الاسماء والصفات وبديع المخلوقات وأما الاثبات

للحمد

المفصل فانه ذكر من اسمائه وصفاته ما انزله في محكم ايانه كقوله
الله لا اله الا هو الحي القيوم الاية بكمالها وقوله قل هو الله احد
الله الصمد السورة وقوله وهو العليم الحكيم وهو العليم القدير
وهو السميع البصير وهو العزيز الحكيم وهو الغفور الرحيم
وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد وهو الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم هو الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقوله فسوف ياتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه
وقوله ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه
فاحبط اعمالهم وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما
وقوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من
مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون وقوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر وقوله
ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها

قالنا اتيناطايعين وقوله وكلم الله موسى تكليما وقوله ونادينا من
جانب الطور الايمن وقربناه نجيا وقوله ويوم يناديهم فيقول اين
شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له
كن فيكون وقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون
هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم الى امثال هذه الايات
والاحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في اسماء الرب
تعالى وصفاته فان ذلك من اثبات ذاته وصفاته على وجه
التفصيل واثبات وحدانيته بنفي التمثيل مما هدى الله به عباده
الى سواء السبيل فهذه طريقة الرسل صلى الله عليهم اجمعين
واما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين
اوتوا الكتاب ومن دخل في هاولاء من الصابئة والمتفلسفة
والجهمية والقرامطة الباطنية ونحوهم فانهم على ضد
ذلك فانهم يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل
ولا يثبتون الا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل
وانما يرجع الى وجود في الاذهان يمتنع تحققه في الاعيان

قولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فانهم يمثلونه بالممتنعات
والمعدومات والجمادات ويعطلون الاسماء والصفات تعطيلا
الباطنية للذات فغايتهم ان يسلبوا عنه النقيضين فيقولون لا
موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا جاهل ولا عالم لانهم
بزعمهم اذا وصفوه بالاثبات شبهوه بالموجودات واذا وصفوه
بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع في بداية
العقول وحرفوا ما انزل الله تعالى من الكتب وما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم ووقعوا في شر مما فروا منه فانهم شبهوه
بالممتنعات اذ سلب النقيضين يجمع النقيضين كلاهما من
الممتنعات وقد علم بالاضطرار ان الوجود لابد له من موجد
قديم واجب غني بذاته عما سواه ازلي لا يجوز عليه الحدوث قديم
ولا العدم فوصفوه بما يمتنع وجوده فضلا عن الوجوب او
الوجود او العدم وقالهم طابقة من الفلاسفة واتباعهم
فوصفوه بالسلوب والاضافات دون صفات الاثبات
وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق وقد علم بصريح العقل
ان هذا لا يكون الا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات
وجعلوا الصفة هي الموصوف فجعلوا العلم عين العالم مكابرة

للقضايا البديهيات وجعلوا هذه الصفة هي الاخرى فلم يميزوا
بين العلم والقدرة والمشيئة جحدا للمعلوم الضروريات
وقارنهم طائفة ثالثة من أهل الكلام من المعتزلة ومن اتبعهم
فاثبتوا له الاسماء دون ما تضمنته من الصفات فمنهم من جعل العليم
والقدير والسميع والبصير كالاعلام المحضة المترادفات
ومنهم من قال عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع بلا سمع
بصير بلا بصر فاثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات
والكلام على فساد مقالتهم وبيان تناقضها بصريح
المعقول المطابق للصحيح المنقول مذكور في غير هذا موضع من
الكلام وهاؤلاء جميعهم يفرون من شيء ويقعون في
نظيره وفي شر منه مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات
ولو امعنوا النظر لسووا بين المتماثلات وفرقوا بين المختلفات
كما يقتضيه المعقولات ولكانوا من الذين اوتوا العلم الذين
يرون ان ما انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى
صراط العزيز الحميد لكنهم من أهل المجهولات المشبهة بالمعقو
لات يتسخطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات وذلك
انه قد علم بضرورة العقل انه لابد من وجود قديم غني عما سواه

اذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان والمعدن والنبات
والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع وقد علم بالاضطرار ان
المحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد له من واجب كما قال تعالى
ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون فاذا لم يكونوا خلقوا
خلقهم من غير الخالق ولا هم الخالقون لانفسهم تعين ان هم خالقا واذا
كان المعلوم بالضرورة ان في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه
وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم فمعلوم ان هذا
موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود ان
يكون وجود هذا مثل وجود هذا بل وجود هذا يخصه
ووجود هذا يخصه واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما
في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتقييد والتخصيص ولا
له ان في غيره فلا يقول عاقل اذا قيل العرش شئ موجود وان
البعوض شئ موجود ان هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشئ
والوجود لانه ليس في الخارج شئ موجود غيرهما يشتركان
فيه بل الذهن يأخذ معنى مشتركا فيما هو مسمى الاسم المطلق
واذا قيل هذا موجود وهذا موجود فوجود كل منهما يخصه
لا شركة في غيره مع ان الاسم حقيقة في كل منهما وهذا يسمى

الله نفسه باسماء وصفاته باسماء وكانت تلك الاسما مختصة به
به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته
باسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الاسماء اذا قطعت
عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل
مسماها واتحاده عند الاطلاق والتجرد عن الاضافة
والتخصيص اتفاقهما وتماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص
فضلا عن ان يتحد مسماها عند الاضافة والتخصيص فقد سمى الله
نفسه حيا فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم وسمى
بعض عباده حيا فقال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي وليس هذا الحي مثل هذا الحي لان قوله الحي القيوم
اسم الله مختص به وقوله تخرج الحي من الميت اسم للحي
المخلوق مختص به وانما يتفقان اذا اطلقا وجردا عن التخصيص
ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من
المطلق قدرا مشتركا بين المسميين وعند الاختصاص
يتقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق ولا بد من هذا في جميع
اسما الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمطابقة والاتفاق
وما دل عليه بالاضافة والاختصاص المانعة من مشاركة

المخلوق للخالق في شيء من خصايصه سبحانه وتعالى وكذلك سمى الله
نفسه عليما حليما وسمى بعض عباده عليما فقال وبشروه
بغلام حليم يعني اسمعيل وليس العليم كالعليم ولا الحليم كالحليم
وسمى نفسه سميعا بصيرا فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما
يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا وسمى بعض خلقه
بصيرا فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير
وسمى نفسه بالروف الرحيم فقال ان الله بالناس لروف رحيم
وسمى بعض عباده بالروف الرحيم فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم وليس الروف
كالروف ولا الرحيم كالرحيم وسمى نفسه بالملك فقال الملك
القدوس وسمى بعض عباده بالملك فقال وكان وراءهم ملك ياخذ كل
سفينة غصبا وقال الملك ايتوني به وليس الملك كالملك
وسمى نفسه بالمومن فقال المومن المهيمن وسمى بعض عباده بالمومن فقال
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وليس المومن كالمومن
وسمى نفسه بالعزيز فقال العزيز الجبار المتكبر وسمى بعض عباده

بالعزيز فقال وقالت امراة العزيز ولم يسم العزيز بهم
كالعزيز وسمى نفسه الجبار المتكبر وسمى بعض خلقه بالجبار
المتكبر وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وليس
الجبار كالجبار ولا المتكبر كالمتكبر ونظير هذا معدوم وكذلك
سمى صفاته باسماء وسمى صفات عباده بنظير ذلك فقال ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقال ان الله هو الرزاق ذو
القوة المتين وقال اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة وسمى صفة المخلوق علما وقوة فقال
وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال وفوق كل ذي علم عليم
وقال فرحوا بما عندهم من العلم وقال الله الذي
خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد
قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وقال ويزدكم قوة الى
قوتكم وقال والسماء بنيناها بايد اي بقوة وقال
تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد اي ذا القوة وليس العلم
كالعلم ولا القوة كالقوة وكذلك وصف نفسه بالمشيء ووصف
عبده بالمشيء فقال لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن
الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما ووصف نفسه بالارادة وعبده

بالارادة وعبده بالارادة فقال تريدون عرض الدنيا والله يريد
الاخرة والله عزيز حكيم ووصف نفسه بالمحبة وعبده بمحبته
فقال فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ووصف نفسه بالرضى ووصف
عبده بالرضى فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ومعلوم ان
مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد ولا ارادته مثل
ارادته ولا محبته مثل محبته ولا رضاه مثل رضاه وكذلك وصف
نفسه بانه يمقت الكفار ووصفهم فقال ان الذين كفروا
ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى
الايمان فتكفرون وليس المقت مثل المقت وهكذا وصف
نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده فقال ويمكرون ويمكر الله
وقال انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وليس المكر كالمكر
ولا الكيد كالكيد ووصف نفسه بالعمل فقال وآية لهم انا حملنا
لهم ما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون ووصف عبده
بالعمل فقال جزاء بما كانوا يعملون وليس العمل كالعمل ووصف نفسه
بالمناداة والمناجاة في قوله ونادياه من جانب الطور الايمن
وقربناه نجيا وقوله ويوم يناديهم وقوله وناداهما ربهما ووصف

عباده بالمناداة والمناجاة فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون وقال واذا ناجيتم الرسول وقال اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان وليس المناداة كالمناداة ولا المناجاة
كالمناجاة ووصف نفسه بالتكليم في قوله وكلم الله موسى
تكليما وقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وقوله
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ووصف
عبده بالتكليم في مثل قوله وقال الملك ايتوني به فلما كلمه
قال انك اليوم لدينا مكين امين ووصف نفسه بالتنبئة ووصف
بعض الخلق بالتنبئة فقال واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا
فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض
فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير وليس
الانباء كالانباء ووصف نفسه بالتعليم فقال الرحمن علم القرآن
خلق الانسان علمه البيان ووصف عبده بالتعليم فقال
تعلمونهن مما علمكم الله ولقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وليس
التعليم كالتعليم ووصف نفسه بالغضب فقال وغضب الله عليهم
ولعنهم ووصف عبده بالغضب فقال لموسى وغضب الله عليه

الى قوله غضبان اسفا وليس الغضب كالغضب ووصف نفسه
بانه استوى على عرشه فذكر في سبع مواضع في كتابه انه استوى
على العرش ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله مطلب
ليستووا على ظهوره وقوله فاذا استويت انت ومن
معك على الفلك وقوله واستوت على الجودي وليس
الاستواء كالاستواء ووصف نفسه ببسط اليدين فقال وقالت
اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل
يداه مبسوطتان ينفق كيف شاء ووصف بعض خلقه ببسط اليد
في قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وليس ليدك يد ولا البسط كالبسط واذا كان
المراد بالبسط الاعطاء والجود فليس اعطاء الله كاعطاء خلقه
ولا جوده كجودهم ونظائر هذا كثير فلا بد من اثبات ما اثبته
الله لنفسه ونفي مماثلته لخلقه فمن قال ليس لله علم ولا قدرة مطلب
ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا ينادي ولا يناجي ولا
استوى كان معطلا جاحدا ممثلا له بالمعدومات والجمادات
ومن قال علمه كعلمي او قدرته كقوتي او محبته كمحبتي او رضاه كرضاي
او يده كيدي او استواؤه كاستوائي كان مشبها ممثلا لله بالحيوانات

بل

بل لا بد من اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل وبين هذا بأصلين
شريفين وتمثيلين منصفين ولله المثل الأعلى وبحامعه

فصل فاما الأصلان فلحدهما ان يقال القول في بعض الصفات
كالقول في بعض فان المخاطب ممن يقر بان الله حي بحيوة عليم
بعلم قادر بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد
بارادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه وغضبه
وكراهته ويجعل ذلك مجازا ويفسره اما بالارادة واما ببعض
المخلوقات من النعم والعقوبات فيقال له لا فرق
بين ما اثبته وبين ما نفيته بل القول في احدهما كالقول في الاخر
الاخر فان قلت ان ارادته مثل ارادة المخلوقين
وكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل وان قلت قال
له ارادة تليق به كما ان للمخلوق ارادة تليق به قيل له وكذلك له
محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله رضى وغضب يليق به
وللمخلوق رضى وغضب يليق به وان قال الغضب غليان دم
القلب لطلب الانتقام قيل له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة
او دفع مضرة فان قلت قال هذه ارادة المخلوق قيل له
لك وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره

وعلمه وقدرته ان تنفي عنه الغضب والمحبة والرضى ونحو
ذلك مما هو من خصايص المخلوقين فهذا منتف عنه السمع
والبصر والكلام وجميع الصفات وان قال انه لا حقيقة لهذا
الا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه قيل له وهكذا السمع
والبصر والكلام والعلم والقدرة وهذا الفرق بين بعض
الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمن نازعه فيما
اثبته فاذا قال له المعتزلي ليس له ارادة ولا كلام قايم به
لان هذه الصفات لا تقوم الا بالمخلوقات فانه يبين للمعتزلي
ان هذه الصفات يتصف بها القديم وكما تكون الصفات
المحدثات وهكذا يقول له المثبتون لساير الصفات من
المحبة والرضى ونحو ذلك فان قال المعتزلي تلك الصفات
اثبتها العقل لان الفعل المحكم دل على القدرة والتخصيص
دل على الارادة والاحكام دل على العلم وهذه الصفات
مستلزمة للحيوة والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام
او ضد ذلك قال له سايرا هل الاثبات للجواب من
احدهما ان يقال عدم الدليل المعين فيجب ان ما سلكته من
الدليل العقلي لا يثبت ذلك فانه لا يفيده فليس لك ان تنفيه بغير
دليل

لا يستلزم عدم الدليل المعين

احدهما

دليل لان النافي عليه الدليل دا على المثبت والسمع قد دل عليه ولم يعارض
ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب اثبات ما اثبته الدليل السالم عن
المعارض المقاوم الثاني ان يقال يمكن اثبات هذه الصفات
بنظير ما اثبت تلك من العقليات فيقال نفع العباد بالاحسان
اليهم يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على المشية والكرام
للطايعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل على بغضهم كما
قد ثبت بالشاهد والخبر من اكرام اوليايه وعقاب اعدايه
والغايات الموجودة في مفعولاته ومأموراته وهي ما
تنتهي اليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة
تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشية
او اولى لقوة العلة الغايية ولهذا كان ما في القرآن من بيان
ما في مخلوقاته من النعم والحكم اعظم ما في القرآن من بيان
ما فيها من الدلالة على محض المشية وان كان المخاطب ممن
ينكر الصفات ويقر بالاسماء كالمعتزلي الذي يقول انه
حي عليم قدير وينكر ان يتصف بالحياة والعلم والقدرة
قيل له لا فرق بين اثبات الاسماء وبين اثبات الصفات
فانك ان قلت اثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي

تشبيها او تجسيما لانا لا نجد في الشاهد متصفا بالصفات
الا ما هو جسم فيقال لك ولا نجد في الشاهد ما هو سميع بصير
قدير الا ما هو جسم فان نفيت ما نفيت لكونك لم تجده الا جسما
فانف الاسماء وكل شيء لانك لا تجده في الشاهد الا جسما
فكل ما تحتج به من نفي الصفات يحتج به في الاسماء الحسنى
فما كان جوابا لك كان جوابا لمثبتي الصفات وان كان
المخاطب من العلاة نفاة الاسماء والصفات وقال لا اقول
هو موجود ولا حي ولا عليم ولا قادر بل هذه الاسماء مخلوقاته
او هي مجاز لان اثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي
العليم قيل له وكذلك اذا قلت ليس بموجود ولا حي ولا عليم
ولا قدير كان ذلك تشبيها بالمعدومات وذلك اقبح من التشبيه
بالموجودات فان قال انا انفي النفي والاثبات قيل له
فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات
فانه يمتنع ان يكون الشيء موجودا معدوما او لا موجودا
ولا معدوما ويمتنع ان يوصف باجتماع الوجود والعدم
ونفي الحياة والموت ونفي العلم والجهل فان قلت انما
يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلا لها وهذا ليس بقابل للعلم

والملكة

والملكة لا تقابل السلب والايجاب فان الجدار لا يقال له اعمى
ولا بصير ولا حي ولا ميت اذ ليس من شانها قبل ذلك اولا هذا اصطلاح
اصطلح عليه المتفلسفة المتاخرون والاصطلاحات اللفظية
ليست دليلا في الحقايق العقلية وقد قال تعالى والذين يدعون
من دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون لموات غير احياء وما
يشعرون ايان يبعثون فسمى الجماد ميتا وهذا مشهور
في لغة العرب وغيرهم الى وقل لك ثانيا لا يقبل الاتصاف
بالحياة والموت والعمى والبصر ونحو ذلك من المتقابلات
انقص مما يقبل ذلك فالاعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر اجل
من الجماد الذي لا يقبل واحدا منهما فانه قد يرث من شبهه
بالحيوان بالقابلة لصفات الكمال ووصفه بصفات
الجامدات التي لا تقبل ذلك وايضا فما لا يقبل الوجود والعدم
اعظم امتناعا من القابل للوجود والعدم فرفعهما جميعا
وقيل له ايضا اتفاق المسميين في بعض الاسماء والصفات
ليس هو التشبيه والتمثيل الذي تنفيه الادلة السمعيات
والعقليات وانما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما
يختص به الخالق مما يختص بوجوده او جوازه او امتناعه

فلا يجوز ان يشركه فيه مخلوق ولا يشركه المخلوق في شيء من
خصايصه سبحانه وتعالى واما ما نفيته فهو ثابت بالشرع
والعقل وتسميتك ذلك تشبيها وتجسيما تمويه على الجهال الذين
يظنون ان كل معنى سماه مسمى بهذا الاسم يجب نفيه ولو
ساغ هذا لكان كل مبطل يسمي الحق باسماء ينفر عنها بعض
الناس ليكذب الناس بالحق المعلوم بالسمع والعقل
وبهذه الطريق افسدت الملاحدة على طوايف من الناس
عقولهم ودينهم حتى اخرجوهم الى اعظم الكفر والجهالة
والبلغ الغي والضلالة وان قالت الفلاسفة الصفات اثبات
العلم والقدرة والارادة يستلزم تعدد الصفات
وهذا تركيب ممتنع قيل واذا قلتم هو موجود واجب
وعقل وعاقل ومعقول فليس المفهوم من هذا هو
المفهوم من هذا وهذه معان متغايرة في العقل
وهذا تركيب قالوا هذا توحيد في الحقيقة
وليس هذا تركيبا ممتنعا قيل لهم واتصاف الذات
بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس هذا
تركيبا ممتنعا وهذا باب مطرد فان كل واحد من النفاة

لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفات لا
ينفي شيئا فرارا مما هو محذور الا وقد اثبت ما يلزمه فيه
نظير ما قدر منه فلا بد في آخر الامر من اثبات موجود
واجبا قديما متصفا بصفات تميز عن غيره ولا يكون
فيها مماثلا للخلقة فيقال له هكذا القول في جميع الصفا
ت
وكل ما يثبته من الاسماء والصفات فلا بد ان يستدرع
قد تتواطا فيه المسميات ولولا ذلك لما فهم الخطاب
ولكن نعلم ان ما اختص الله به وامتاز عن خلقه اعظم
مما يخطر ببال ويدور في الخيال وهذا يتبين بالاصل
الثاني وهو ان يقال القول في الصفات كالقول
في الذات فان الله ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته
ولا في افعاله فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات
فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات
المخلوقات فاذا قال السائل كيف استوى على
العرش قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما الاستوا
معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسوال
عن الكيفية بدعة لانه سوال عما لا يعلمه البشر ولا يدركهم

مشترك

مطلب

الاستوى
و
تحو الا
الامام ما

الاجابة عنه وكذلك اذا قال كيف ينزل ربنا الى سماء الدنيا
قيل له كيف هو فاذا قال انا لا اعلم كيفيته قيل له ونحن
لا نعلم كيفية نزوله اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم النزول
العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له فكيف نطالبني
بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه
ونزوله وانت لا تعلم كيفية ذاته واذا كنت تقر بانه
حقيقة ثابتة في نفس الامر مستوجبة لصفات الكمال
لا يماثلها شيء فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواءه
هو ثابت في نفس الامر وهو متصف بصفات الكمال التي
لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم
واستواؤهم وهذا الكلام لازم لهم في العقليات
وفي تاويل السمعيات فان من اثبت شيئا ونفى شيئا
بالعقل الزم فيما نفاه من الصفات التي جاءها الكتاب
والسنة نظير ما يلزمه فيما اثبته ولو طولب بالفرق بين
المحذور في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقا ولهذا لا يوجد
لنفاة بعض الصفات دون بعض الذين يوجبون فيما يقوم
اما التفويض واما التاويل المخالف لمقتضى اللفظ قانون

مستقيم

النزول

اذاء

مستقيم فاذا قيل لهم تاولتم هذا واقررتم هذا والسؤال
فيهما واحد لم يكن لهم جواب صحيح فهذا يناقضهم في النفي
وكذلك يناقضهم في الاثبات فان من تاول النصوص على
معنى من المعاني التي يثبتها فانهم اذا صرفوا النص من
المعنى الذي هو مقتضاه الى معنى آخر لزمهم في المعنى
المصروف اليه ما كان يلزم في المعنى المصروف عنه فاذا
قال قيل تاويل محبته ورضاه وغضبه وسخطه هو
ارادته للثواب والعقاب كان ما يلزمه في الارادة نظير
ما يلزمه في الحب والمقت والرضى والسخط ولو فسر
ذلك بمفعولاته وهو ما يخلقه من الثواب والعقاب
فانه يلزمه في ذلك نظير ما قدمنه فان الفعل المعقول
لابد ان يقوم اولا بالفاعل والثواب والعقاب المعقول
انما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه او يسخطه ويبغضه
المثبت المحاقق فهم ان ابوا واما المثلان المضروبان
فان الله سبحانه وتعالى اخبرنا عما في الجنة من المخلوقات
من اصناف المطاعم والملابس والمناكح والمساكن فاخبرنا
ان فيها لبنا وعسلا وخمرا وماء وحما وفاكهة وحريرا وذهبا

المثلان

النعل على مثل الوجه المعقول في الناس هذا الفعل
مثلوا وان اثبتوا فاخلوا من ذلك فان ذلك من صفات

وقصة وجودا وتصورا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
ليس في الدنيا شئ مما في الجنة الا الاسماء فاذا كانت تلك الحقايق
التي اخبر الله عنها هي موافقة في الاسماء للحقايق الموجودة
في الدنيا وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه الا الله
فالخالق سبحانه وتعالى اعظم مباينة للمخلوقات من مباينة
المخلوق للمخلوق ومباينته لمخلوقاته اعظم من مباينة
موجود الاخرة لموجود الدنيا اذ المخلوق اقرب الى
المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق الى المخلوق وهذا
بين واضح ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلث
فرق فالسلف والائمة واتباعهم امنوا بما اخبر الله به
عن نفسه وعن اليوم الاخر مع علمهم بالمباينة التي
بين ما في الدنيا وبين ما في الاخرة وان مباينة الله لخلقه
اعظم والله سبحانه وتعالى لا تضرب له الامثال حتى التي
فيها مماثلة لخلقه فان لله لا مثل له بل له المثل الاعلى فلا
يجوز ان يشترك هو والمخلوق من كل كمال فالخالق اولى
به وكل ما نزه عنه المخلوق من نقص فالخالق اولى
بالتنزيه عنه فاذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق

بهما بهما بهما بهما

قوله كمثل والذي في قوله كمثل الذي
اراده وكذلك يقال في قوله كمثل الذي
وصوابه كما اثبت به المخلوق

مع الموافقه في الاسم فالخالق اول ان ينزه عن مماثله
المخلوق وان حصل موافقه في الاسم وهكذا القول
المثل الثاني في المثل الثاني وهو الروح التي فينا فانها وصفت قد
صفات بثبوته وسلبيه وقد اخبرت النصوص انها تخرج
وتصعد من سما الى سماء وانها تقبض من البدن وتسل
منه كما تسل الشعرة من العجين والناس مضطربون فيها
فمنهم طوايف من اهل الكلام جعلوها جزءا من البدن
او صفة من صفاته كقول بعضهم انها النفس او الريح
التي تتردد في البدن وقول بعضهم انها الحياة او المزاج
او نفس البدن ومنهم طوايف من اهل الفلسفة يصفونها منهم
بما يصفون به واجب الوجود وهي امور لا يتصف بها
الا الممتنع الوجود ويقولون لا هي داخل البدن ولا خارجه
ولا مباينة له ولا مداخلة ولا متحركة ولا ساكنة هي
ولا تصعد ولا تهبط ولا جسم ولا عرض وقد يقولون انها لا
تدرك الامور المعينة والحقايق الموجودة في الخارج
وانما تدرك الامور الكلية المطلقة وقد يقولون
انها لا داخل العلم ولا خارجه ولا مباينة له ولا مداخلة

وربما قالوا ليست داخلة في أجسام العالم ولا خارجة عنها
مع تقديرهم للجسم بما يقبل الاشارة الحسية فيصفونها
بانه لا يمكن الاشارة اليها ونحو ذلك من الصفات السلبية التي
يلحقها بالمعدوم والممتنع واذا قيل لهم اثبات مثل هذا
ممتنع في ضرورة العقل قالوا بل هذا يمكن بدليل ان
الكليات موجودة وهي غير مشار اليها وقد علموا ان كون
الكليات لا توجد كلية الا في الاذهان لا في الاعيان
فيعتمدون فيما يقولونه في المبدا والمعاد على مثل هذا
الخيال الذي لا يخفى فساده على غالب الجهال واضطراب
الغالية والمشبهة في الروح كثير وسبب ذلك ان الروح
التي تسمى بالنفس اللطيفة عند الفلاسفة ليست هي
من جنس هذا البدن ولا من جنس العناصر والمولدات
منها بل هي من جنس اخر يخالف هذه الاجناس فصار
هؤلاء لا يعرفونها الا بالسلوب التي يوجب مخالفتها
للاجسام المشهودة واذا لم يجعلوها من جنس الاجسام
المشهودة وكلا القولين خطا واطلاق القولين عليها
بانها جسم او ليست بجسم يحتاج الى تفصيل فان لفظ

الجسم للناس فيه اقوال متعددة اصطلاحية غير معناه
اللغوي فاهل اللغة يقولون الجسم هو الجسد والبدن
وهذا الاعتبار فالروح ليست جسما وهذا يقولون الروح
والجسم كما قال تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع
لقولهم وزاده بسطة في العلم والجسم واما اهل الكلام
منهم من يقول الجسم هو الموجود ومنهم من يقول هو المركب
من الجواهر المنفردة ومنهم من يقول هو المركب من المادة
والصورة ومنهم من يقول ليس بمركب لا من هذا ولا من هذا
بل هو ما يشار اليه ويقال انه هنا او هناك فعلى هذا
اذا كانت الروح مما يشار اليه ويتبعه بصر الميت كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا خرج تبعه البصر
وانها تقبض وتعرج بها الى السماء كانت الروح جسما هذا
الاصطلاح والمقصود ان الروح اذا كانت موجودة حية
عالمة قادرة سميعة بصيرة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء
ونحو ذلك من الصفات العقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها
لانهم لم يشاهدوا لها نظيرا والشيء انما يدرك حقيقته اما
بمشاهدته او بمشاهدة نظيره فاذا كانت الروح متصفة بهذه

مطلب

الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات
فالخالق اولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه
من اسمائه وصفاته واهل العقول اعجز ان يحدوه او يكيفوه
منهم عن ان يحدوا الروح او يكيفوه فاذا كان من نفى
صفات الروح جاحدا لها معطلا لها ومن مثلها بما يشاهده
المخلوقات جاهلا بها مثلا لها بغير شكله وهى مع
ذلك ثابتة بحقيقة الاثبات مستحقة لما لها من الصفات
فالخالق سبحانه وتعالى اولى ان يكون من نفى صفاته
جاحدا معطلا ومن قاسه بخلقه جاهلا به ممثلا
وهو سبحانه ثابت بحقيقة الاثبات مستحق لما له من الاسماء
والصفات

فصل

فصل واما الخاتمة الجامعة ففيها
قواعد نافعة القاعدة الاولى ان الله سبحانه
موصوف بالاثبات والنفى فالاثبات كاخباره انه بكل شىء
عليم وانه على كل شىء قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك
والنفى كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم وينبغى ان تعلم ان
النفى ليس فيه مدح ولا كمال الا اذا تضمن اثباتا والا فمجرد
النفى ليس فيه مدح ولا كمال لان النفى المحض عدم محض والعدم

المحض ليس بشئ وما ليس بشئ هو كما قيل ليس بشئ فضلا
عن ان يكون مدحا او كمالا ولان النفي المحض يوصف به
المعدوم والممتنع والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال
فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي
متضمنا لاثبات مدح كقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم
لا تاخذه سنة ولا نوم الى قوله ولا يؤوده حفظهما وهو
فنفى السنة والنوم يتضمن كمال الحيوة والقيام فهو مبين
لكمال الله الحي القيوم وكذلك قوله ولا يؤوده حفظهما اي لا
يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها
بخلاف المخلوق الفقير اذ كان يقدر على الشئ بنوع
كلفة ومشقة فان هذا نقص في قدرته وعيب
في قوته وكذلك قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض فان نفي الغروب مستلزم لعلمه بكل
ذرة في السموات والارض وكذلك قوله تعالى ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا
من لغوب فان نفي مس اللغوب الذي هو التعب والاعياء
دال على كمال القدرة ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي

يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه وكذلك قوله لا تدركه
الابصار انما نفى الادراك الذى هو الاحاطه كما قاله
اكثر العلماء ولم ينف مجرد الرويه لان المعدوم لا يرى وليس
فى كونه لا يرى مدح اذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا
وانما المدح فى كونه لا يحاط به وانه يرى كما انه لا يحاط به
وان علم وكما انه اذا علم لا يحاط به علما فكذلك اذا رأى
لا يحاط به رؤيه وكان فى نفى الادراك من اثبات عظمته ما
يكون مدحا وصفه كمال وكان ذلك دليلا على اثبات
الرويه لا على نفيها لكنه دليل على اثبات الرويه مع عدم
الاحاطه وهذا هو الحق الذى اتفق عليه سلف الامه
وائمتها واذا تاملت ذلك وجدت كل نفى لا يستلزم
اثبوتا لم يتصف الله به نفسه فالذين لا يصفونه الا بالسلوب
لم يثبتوا فى الحقيقه الها محمودا بل ولا موجودا وكذلك
من شاركهم فى بعض ذلك كالذين قالوا انه لا يتكلم ولا
يرى وليس فوق العالم ولم يستو على العرش ويقولون
ان ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مباين للعالم ولا
محايث له اذ هذه الصفات يمكن ان يوصف بها المعدوم

وليست هي مستلزمة صفة ثبوت ولهذا قال محمود بن
سبكتكين لمن ادعى ذلك في الخالق مين لنا بين هذا الرب
الذي تثبته وبين المعدوم وكذلك كونه لا يتكلم او لا ينزل
ليس في ذلك صفة مدح ولا كمال بل هذه الصفات التشبيه
فيها
له بالمنقوصات او المعدومات فهذه الصفات
منها ما لا يتصف به الا المعدوم ومنها ما لا يتصف به
الا الجماد او الناقص فمن قال لا هو مباين للعالم ولا مداخل
للعالم فهو بمنزله من قال لا هو قايم بنفسه ولا بغيره ولا قديم
ولا محدث ولا متقدم على العالم ولا مقارن له ومن قال
انه ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا متكلم لزمه ان
يكون ميتا اصم اعمى ابكم فان قال العمى عدم البصر عما
من شانه ان يقبل البصر وما لم يقبل البصر كالحايط لا يقال
له اعمى ولا بصير قيل له هذا اصطلاح اصطلحتموه
والا فما يوصف بعدم الوجوه كالسمع والكلام يمكن وصفه
بالموت والعمى والخرس والعجه وايضا فكل موجود يقبل
الاتصاف بهذه الامور ونقايضها فان الله قادر على جعل
الجماد حيا كما جعل عصى موسى حيه تلقف الحبال والعصى

وايضا فالذى لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات اعظم نقصا
مما يقبل الاتصاف بها مع اتصافه بنقايضها فالجماد الذى
لا يوصف بالبصر ولا العمى ولا الكلام ولا الخرس اعظم
نقصا من الحى الاعمى الاخرس فاذا قبل ان البارى لا يمكن
اتصافه بذلك كان فى ذلك من وصفه بالنقص اعظم مما اذا وصف
بالخرس والعمى والصمم ونحو ذلك مع انه اذا جعل
غير قابل لهما كان تشبيها له بالجماد الذى لا يقبل
الاتصاف بواحد منهما وهذا تشبيه بالجمادات لا بالحيوانات
فكيف ينكر من قال ذلك على غيره ما يزعم انه تشبيه
بالحى وايضا فنفس نفى هذه الصفات نقص كما ان اثباتها
كمال فالحيوة من حيث هى هى مع قطع النظر عن تعيين
الموصوف بها صفة كمال وكذلك العلم والقدرة والسمع
والبصر والكلام والعقل ونحو ذلك وما كان صفة كمال
فهو سبحانه وتعالى احق بان يتصف به من المخلوق فلو لم
يتصف به مع اتصاف المخلوق به لكان المخلوق اكمل منه
واعلم ان الجهمية المحضة كالفلاسفة ومن ضاهاهم ينفون
عنه تعالى اتصافه بالنقيضين حتى يقولوا ليس بموجود

ولا ليس بموجود ولا حي ولا ليس بحي ومعلوم ان الخلو عن
النقيضين ممتنع في بداية العقول كالجمع بين النقيضين
واخرون وصفوه بالنفي فقط فقالوا ليس بحي ولا سميع ولا
سميع ولا بصير وهؤلاء اعظم كفرا من اولئك من وجه
وهم ولا اعظم كفرا من اولئك فلذا قيل لهم ولاء هذا
يستلزم وصفه بنقيض ذلك كالموت والصمم والبكم
قالوا انما يلزم ذلك لو كان قابلا لذلك وهذا الاعتذار يرد
قولهم فسادا وكذلك من ضاهاهم ولاء وهم الذين
يقولون ليس بداخل العالم ولا بخارجه اذا قيل هذا ممتنع
في ضرورة العقل كما اذا قيل ليس بقديم ولا محدث
ولا واجب ولا ممكن ولا قائم بنفسه ولا قائم بغيره قالوا هذا
انما يكون اذا كان قابلا لذلك والقبول انما يكون من المتحيز
فاذا انتفى التحيز انتفى قبول هذين المتناقضين ويقال
لهم علم الخلو بامتناع الخلو عن هذين النقيضين هو علم
مطلق لا يستثنى منه موجود والتحيز المذكور ان
اريد به كون الاحياز الموجودة تحيط به فهذا هو الداخل
في العالم وان اريد به انه منحاز عن المخلوقات اي مباين لها

هو من وجه

لهم

متميز عنها وهذا هو الخروج فالمحسن يراد به تارة ما هو
داخل العالم وتارة ما هو خارج العالم فاذا قيل ليس بمحسن كان
معناه ليس بداخل العالم ولا خارجه وهم غيروا العبارة هم
ليوهموا من لا يفهم حقيقة قولهم ان هنا معنى آخر وهو المعنى
الذي علم فساده بضرورة العقل كما يعلم اولئك في قولهم ليس بحي
ولا ميت ولا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل والعلم

القاعدة الثانية

القاعدة الثانية ان ما اخبر به الرسول عن
ربه فانه يجب الايمان به سواء عرفنا معناه او لم نعرف لانه
الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل
مومن الايمان به وان لم يفهم معناه وكذلك ما اتفق
سلف الامة وايمتها مع ان هذا الباب يوجد عامته منصوصا
في الكتاب والسنة متفقا عليه بين سلف الامة وما ينازع فيه
المتاخرون نفيا واثباتا فليس على احد بل ولا له ان يوافق
احدا على اثبات لفظ او نفيه حتى يعرف مراده فان اراد
حقا قبل وان اراد باطلا رد وان استعمل كلامه على حق وباطل
لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر
المعنى كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك فلفظ

الجهة

الجهة قد يراد به شئ موجود غير الله فيكون مخلوقا كما
اذا اريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات وقد يراد به
ما ليس بموجود غير الله كما اذا اريد بالجهة ما فوق العالم
ومعلوم انه ليس في النص اثبات لفظ الجهة ولا نفيه
كما فيه اثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج اليه
ونحو ذلك وقد علم انه ما ثم موجود الا الخالق او المخلوق
والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى ليس في مخلوقاته
شئ من ذاته ولا في ذاته شئ من مخلوقاته فيقال لمن نفى
اتريد بالجهة انها شئ موجود مخلوق فالله ليس داخلا
في المخلوقات ام تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب
ان الله فوق العالم باين من المخلوقات وكذلك يقال
لمن قال الله في جهة اتريد بذلك ان الله فوق العالم او تريد
به ان الله داخل في شئ من المخلوقات فان اردت الاول
فهو حق وان اردت الثاني فهو باطل وكذلك لفظ
المتحيز ان اراد به ان الله تحويه المخلوقات فالله اعظم
واكبر بل قد وسع كرسيه السموات والارض وقد قال تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة

والسموات مطويات بيمينه وقد ثبت في الصحاح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يقبض الله الارض ويطوي السموات
بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي حديث ابن عباس
ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن في يد
الرحمن الا كخردلة في يد احدكم وفي حديث اخر وانه
ليدحوها كما تدحوا الصبيان الكرة وان اربه الله ينجاذ
عن المخلوقات اي مباين لها منفصل عنها ليس حالا فيها فهو
سبحانه كما قال ايمة السنة فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه

القاعدة الثالثة

القاعدة الثالثة ٥ اذا قال القائل ظاهر النصوص
مراد او ظاهرها ليس بمراد فانه يقال لفظ الظاهر
فيه اجمال واشتراك فان كان القائل يعتقد ان ظاهرها
التمثيل بصفات المخلوقين او ما هو من خصائصهم فلا ريب
ان هذا غير مراد لكن السلف والائمة لم يكونوا يسمون
هذا ظاهرها ولا يرتضون ان يكون ظاهر القرآن
والحديث كفرا وباطلا والله اعلم واحكم من ان يكون كلامه الذي
وصف به نفسه لا يظهر منه الا ما هو كفر واضلال
والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين تارة يجعلون
المعنى

المعنى الفاسد ظاهر اللفظ حتى يجعلوه محتاجا الى تاويل
يخالف الظاهر ولا يكون كذلك وتارة يردون المعنى الحق الذى
هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم انه باطل والاول كما قالوا
في قوله عليه السلام جعت فلم نطعمنى الحديث وفى الاثر
الاخر الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله
فكانما صافح الله وقبل يمينه وقوله وقلوب العباد بين
اصبعين من اصابع الرحمن فقالوا قد علم ان ليس في قلوبنا
اصابع الحق فيقال لهم لو اعطيتم النصوص حقها من الدلالة
لعلمتم انها لا تدل على الحق اما الواحد فقوله
الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله فكانما
صافح الله وقبل يمينه صريح في ان الحجر الاسود ليس صفة
لله ولا هو نفس يمينه لانه قال يمين الله في الارض وقال
فمن قبله وصافحه فكانما صافح الله وقبل يمينه ومعلوم
ان المشبه ليس هو المشبه به ففي نفس الحديث بيان
ان مستلمه ليس مصافحا لله وانه ليس هو نفس يمينه فكيف
يجعل ظاهره كفرا وانه محتاج الى التاويل مع ان
هذا الحديث انما يعرف عن ابن عباس وانما الحديث الاخر هو

مطلب

في الصحيح مفسرا يقول الله عبدي جعت فلم تطعمني فيقول
رب كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي
فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي عبدي مرضت
فلم تعدني فيقول رب كيف اعودك وانت رب العالمين فيقول اما
علمت ان عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده وهذا نفسه
صريح في ان الله سبحانه لم يمرض ولم يجع ولكن مرض عبده
وجاع فجعل جوعه جوعه ومرضه مرضه مفسرا ذلك
بانك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ولو عدته لوجدتني عنده
فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج الى تاويل واما قوله قلوب
العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن فانه ليس في ظاهره
ان القلب متصل بالاصبع ولا ما يدل عليها ولا انها في جوفه ولا في
قول القايل هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته بيده واذا قبل
السحاب المسخر بين السماء والارض لم يقتض ان يكون مماسا
للسموات والارض ونظايره هذا البتة ومما يشبه هذا
ان جعل اللفظ نظيرا لما ليس مثله كما قيل في قوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فقيل هو مثل قوله اولم
يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهذا ليس مثل
هذا لانه هنا اضاف الفعل الى الايدي فصار شبيها بقوله

بما كسبت أيديهم وهناك أضاف الفعل اليه فقال لما خلقت
ثم قال بيدي وأيضا فان هنا اذكر نفسه المقدسة بصيغة
المفرد وفي اليدين ذكر لفظ التثنية كما في قوله بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وهناك أضاف الأمر الى صيغة الجمع
فصار كقولنا تجري بأعيننا وهذا في الجمع نظير قوله
بيده الملك وبيده الخير في المفرد فانه سبحانه يذكر
نفسه تارة بصيغة المفرد مظهرا ومضمرا وتارة
بصيغة الجمع كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا وامثال
ذلك ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط لان صيغة
الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه وربما تدل على
معاني اسمائه واما صيغة التثنية فتدل على العدد
المحصور وهو منزه عن ذلك فلو قال ما منعك ان
تسجد لما خلقت بيدي كان كقوله مما عملت
ايدينا وهو نظير قوله بيده الملك وبيده الخير ولو قال
بصيغة الافراد لكان نظيره فكيف اذا قال خلقت بيدك
بصيغة التثنية هذا مع دلالة الاحاديث المستفيضة
بل المتواترة واجماع السلف على مثل ما دل عليه القرآن

كما هو مبسوط في موضعه مثل قوله المقسطون عند الله
على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون
في حكمهم وأهليهم وما ولوا وأمثال ذلك وإن كان
القابل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها مجانس من
ظاهر النصوص المتفق على معناها والظاهر هو المراد
في الجميع فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم وأنه
على كل شيء قدير واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على
أن هذا ظاهره وأن ظاهر ذلك مراد كان من المعلوم أنهم
لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا وقدرته
كقدرتنا ولذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة عالم حقيقة
قادر حقيقة لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي
هو حي عليم قدير فكذلك إذا قالوا في قوله يحبهم ويحبونه
رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله ثم استوى على
العرش أنه على ظاهره لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره
استواء كاستواء المخلوق ولا حبا كحبه ولا رضى
كرضاه فإن كان المستمع يظن أن ظاهر الصفات مما
يماثل صفات المخلوقين لزمه أن لا يكون شيء من ذلك ظاهرا

مرادا وان كان يعتقد ان ظاهرها ما يليق بالخالق لم يكن
عليه نفي هذا الظاهر ونفي ان يكون مرادا الا بدليل
هذا يدل على النفي وليس في العقل ولا السمع ما ينفي هذا
الا من جنس ما ينفي به سائر الصفات فيكون الكلام
في الجميع واحدا وبيان هذا ان صفاتنا منها ما هي
مطلب اعيان واجسام وهي اعراض لنا كالوجه واليدين
ومنها ما هو معان واعراض وهي قائمة بنا كالسمع
والبصر والكلام والعلم والقدرة ثم من المعلوم ان
الرب لما وصف نفسه بانه حي عليم قدير لم يقل المسلمون
ان ظاهر هذا غير مراد لان مفهوم ذلك في حقه
مثل مفهومه في حقنا فكذلك لما وصف نفسه بانه خلق
آدم بيديه لم يوجب ذلك ان يكون ظاهره غير مراد
لان مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا بل صفة
الموصوف تناسبه فاذا كانت نفسه المقدسة ليست
مثل ذوات المخلوقين فصفاته كذاته ليست كصفات
المخلوقين ونسبة صفات المخلوق اليه كنسبة صفة
الخالق اليه وليس المنسوب كالمنسوب ولا المنسوب

اليه كالمنسوب اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ترون
ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي
بالمرئي وهذا يتبين بالقاعدة الرابعة وهو ان كثيرا
من الناس يتوهم في بعض الصفات او كثير منها او اكثرها
او كلها انها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد ان ينفي ذلك الذي
فهمه فيقع في اربعة انواع من المحاذير احدها كونه مثل
ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن ان مدلول
النصوص هو التمثيل الثاني انه اذا جعل ذلك هو مفهومها
وعطله بقيت النصوص معطله عما دلت عليه من اثبات
الصفات اللائقه بالله فيبقى مع جنايته على النصوص
وظنه السيء الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن ان الذي
يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل قد عطل ما اودع
الله ورسوله في كلامهما من اثبات الصفات لله والمعاني
الالهية اللائقة بجلال الله الثالث انه ينفي
تلك الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه
الرب السادس انه يصف الرب بنقيض تلك الصفات
من صفات الاموات والجمادات او صفات المعدومات

فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثله
بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت
عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات
فيجمع في كلام الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحدا
في اسماء الله وآياته مثال ذلك ان النصوص كلها دلت
على وصف الله بالعلو والفوقية على المخلوقات
واستوائه على العرش فاما علوه ومباينته للمخلوقات
فيعلم بالعقل الموافق للسمع واما الاستواء على العرش
فطريق العلم به هو السمع وليس في الكتاب والسنة وصف
له بانه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا مداخل
فيظن المتوهم انه اذا وصف بالاستواء على العرش
كان استواؤه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام
كقوله وسخر لكم من الفلك والانعام ما تركبون
لتستووا على ظهوره فتخيل انه اذا كان مستويا على
العرش محتاجا اليه كحاجة المستوي على الفلك والانعام
فلو انخرقت السفينة لسقط المستوي عليها ولو عثرت
الدابة لخر المستوي عليها فقياس هذا انه لو عدم العرش

لسقط الرب تبارك وتعالى ثم يريد بزعمه ان ينفي هذا
فيقول ليس استواؤه بقعود ولا استقرار ولا يعلم
ان مسمى القعود والاستقرار يقال فيه ما يقال في
مسمى الاستواء فان كانت الحاجة داخلة في ذلك فلا فرق
بين الاستواء والقعود والاستقرار وليس هو بهذا
المعنى مستويا ولا مستقرا ولا قاعدا وان لم يدخل
في مسمى ذلك الا ما يدخل في مسمى الاستواء فاثبات احدهما
ونفي الاخر تحكم وقد علم ان بين مسمى الاستواء والاستقرار
والقعود فروقا معروفة ولكن المقصود هنا ان يعلم
خطأ من ينفي الشيء مع اثبات نظيره وكان هذا من الخطأ
من خطابه بمفهوم استوى به على العرش حيث ظن انه
مثل استواء الانسان على ظهور الانعام والفلك وليس في اللفظ
ما يدل على ذلك لانه اضاف الاستواء الى نفسه الكريمة
كما اضاف اليه سائر افعاله وصفاته فذكر انه خلق ثم استوى
كما ذكر انه قدر فهدى وانه بنا السما بايد وكما ذكر انه
مع موسى وهرون يسمع ويرى وامثال ذلك فلم يذكر استواء
مطلقا يصلح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق فلم يذكر

مثل ذلك في سايرصفاته وانما ذكر استوا اضافه
الى نفسه الكريمه فلو قدر على وجه الممتنع انه هو مثل خلقه
تعالى عن ذلك لكان استواه مثل استوا خلقه فاما
اذا كان هو ليس مماثلا لخلقه بل قد علم ان الله الغني عن
الخلق وانه الخالق للعرش ولغيره وان كل ما سواه
مفتقر اليه وهو الغني عن كل ما سواه وهو لم يذكر
الا استوا يخصه ولم يذكر استوا يتناول غيره
ولا يصلح له كما لم يذكر في علمه وقدرته ورويته وسمعه
وخلقه وكلامه الا ما يختص به فكيف يجوز ان يتوهم انه اذا
كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه وانه لو سقط
العرش لخر من عليه سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا هل هذا الا جهل محض وضلال
ممن فهم ذلك او ظنه او توهمه ظاهر اللفظ ومدلوله
او جوز ذلك على رب العالمين الغني عن الخلق بل لو قدر
ان جاهلا فهم مثل هذا او توهمه لبين له ان هذا
لا يجوز وانه لم يدل عليه اللفظ اصلا كما لم يدل على
نظايره في سايرما وصف به الرب نفسه فلما قال

الفرض

تعالى والسما بنيناها بايد هل يتوهم ان بناه مثل بنا الادمى
المحتاج الذى يحتاج الى زنبيل ومجارف واعوان وضرب
لبن وجبل طين ثم قد علم ان الله تعالى خلق العالم بعضه
فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقرا الى سافله فالهوا
فوق الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله الارض والسحاب
ايضا فوق الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله الارض
والسموات فوق الارض وليست مفتقره الى حمل الارض
لها فالعلى الاعلى رب كل شى ومليكه اذا كان فوق
جميع خلقه كيف يجب ان يكون محتاجا الى خلقه
او عرشه او كيف يستلزم علوه على خلقه هذا
الافتقار وهو ليس بمستلزم فى المخلوقات وقد علم
ان ما ثبت للمخلوق من الغنى عن غيره فالخالق
سبحانه وتعالى احق به واولى وكذلك قوله امنتم من
فى السما ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور من توهم
ان مقتضى هذه الاية ان يكون الله فى داخل السموات
فهو جاهل ضال بالاتفاق وان كنا اذا قلنا ان الشمس
والقمر فى السما يقتضى ذلك فان حرف فى متعلق بما قبله

وما بعده فهو بحسب الاضافة والمضاف اليه فهذا يفرق بين
كون الشيء في المكان وكون الجسم في الحيز وكون العرض في
الجسم وكون الوجه في المرآة وكون الاسم في الورق فان لكل
نوع من هذه الانواع خاصة يتميز بها عن غيره وان
كان حرف في مستعملا في ذلك فلو قال فاين العرش
في السماء او في الارض لقيل في السماء ولو قيل الجنة في السماء
او في الارض لقيل الجنة في السماء فلزم من ذلك ان تكون
الجنة في السماء الى لم يلزم من ذلك ان يكون العرش داخل
السموات بل ولا الجنة وقد ثبت في الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله الجنة
فاسلوه الفردوس فانها اعلى الجنة واوسط الجنة وسقفها
عرش الرحمن فهذه الجنة بسقفها الذي هو العرش
فوق الافلاك مع ان الجنة في السماء والسماء يراد بها العلو
سواء كان فوق الافلاك او تحتها قال الله تعالى فليمدد
بسبب الى السماء وقال تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا ولما
كان قد استقر في نفوس المخاطبين ان الله هو العلي
الاعلى وانه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله في السماء انه

في العلو وان كان فوق كل شئ وكذلك الجارية لما قال
لها اين الله قالت في السماء انما اردت العلو مع علم تخصيصه
بالاجسام المخلوقة وحلوله فيها واذا قبل العلو فانه
يتناول ما فوق المخلوقات كلها فما فوقها كلها هو في السماء ولا
يقتضي هذا ان يكون هناك ظرف وجودي يحيط به اذ
ليس فوق العالم شئ موجود الا الله كما لو قيل العرش في
السماء فانه لا يقتضي ان يكون العرش في شئ اخر
موجود مخلوق وان قدر ان السما المراد بها الافلاك
كان المراد انه عليها كما قال ولاصلبنكم في جذوع النخل
وكما قال فسيروا في الارض وكما قال فسيحوا في الارض
ويقال فلان في الجبل وفي السطح وان كان على اعلى
شئ فيه على القاعدة الخامسة انا نعلم
ما اخبرنا به من وجه دون وجه فان الله تعالى قال افلا
يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا وقال افلم يدبروا القول وقال كتاب
انزلناه مبارك ليدبروا آياته وليذكر اولوا الالباب
وقال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها

ليدبروا

قد سر تدبر الكتاب كله وقد قال هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا
وما يذكر الا اولوا الالباب وجماهير سلف الامة
وخلفها على ان الوقف عند قوله وما يعلم
تاويله الا الله وهذا هو الماثور عن ابن كعب
وابن مسعود وابن عباس وغيرهم وروى عن ابن
عباس انه قال التفسير على اربعة اوجه
تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر
احد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه
الا الله من ادعى علمه فهو كاذب وقد روى عن مجاهد
وطايفة ان الراسخين في العلم يعلمون تاويله وقد قال
مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته
الى خاتمته اقف عند كل اية واسأله عن تفسيرها
ولا منافاة بين القولين عند اهل التحقيق فان لفظ

التاويل قد صار بعد الاصطلاحات مستعملا في ثلثة
معان احدها وهو اصطلاح كثير من المتاخرين المتكلمين
في الفقه واصوله هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى
ان التاويل الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به وهذا هو الذي عناه
اكثر من تكلم من المتاخرين في تاويل نصوص الصفات
وترك تاويلها وهل ذلك محمود او مذموم وحق او باطل والثاني
ان التاويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح
المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير وامثاله من المصنفين
في التفسير واختلف علماء التاويل ومجاهد امام المفسرين
صواب التاويل قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك
به وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما
فاذا ذكر انه يعلم تاويل المتشابه والمراد به معرفة
تفسيره الثالث من معاني التاويل هو الحقيقة التي
يؤول اليها الكلام فاذا قال تعالى هل ينظرون الا تاويله
يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل
ربنا بالحق فتاويل ما في القرآن من اخبار المعاد هو ما اخبر
الله تعالى في نفسه مما يكون يوم القيامة والحساب والجزاء

والجنة والنار ونحو ذلك كما قال في قصة يوسف لما سجد
ابواه واخوته قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل فجعل عين ما
وجد في الخارج هو تاويل الرؤيا فالتاويل الثاني هو تفسير الكلام
وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه او
يعرف علته او دليله وهذا التاويل الثالث هو عين
ما هو موجود في الخارج ومنه قول عايشة كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم
ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران يعني قوله فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقول سفيان السنة
هي تاويل الامر والنهي فان نفس الفعل المامور به هو
تاويل الامر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تاويل
الخبر والكلام خبر وامر وهذا يقول ابو عبيد
وغيره الفقها اعلم بالتاويل من اهل اللغة كما ذكروا
ذلك في تفسير اشتمال الصماء ان الفقها يعلمون نفس ما امر
به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول وذلك كما يعلم
اتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهم هما لا
يعلم بمجرد اللغة ولكن تاويل الامر والنهي لابد من معرفته

بخلاف ما ونزل الخبر اذا عرف ذلك فيشاويل ما اخبر الله
به عن نفسه المقدسة بما لها من حقايق الاسماء والصفات
هو حقيقته المقدسة المنصفة بما لها من الصفات
وتاويل ما اخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الاخر فيه
الفاظ متشابهة تشبه معانيها ما يعلمه الناس في الدنيا
كما اخبر ان في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو
ذلك وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ولكن
ليس هو مثله ولا حقيقته كحقيقته فاسماء الله وصفاته
اولى وان كان بينها وبين اسماء العباد وصفاتهم
تشابه ان لا يكون الخالق مثل المخلوق ولا حقيقته
كحقيقته والاخبار عن الغايب لا تفهم الا بما يعبر
عنه بالاسماء المعلوم معانيها في الشاهد فيعلم
بها ما في الغايب بواسطة العلم بما في الشاهد
مع العلم بالفارق المميز وان ما اخبر الله به من الغيب
اعظم مما يعلم في الشاهد وفي الغايب ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن اذا
اخبرنا الله بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار

نفسه

من الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد وهذا معنى قولهم ان ما اخبر الله به عن نفسه

علمنا معنى ذلك وفهمنا ما اريد منا فهمه بذلك
الخطاب وفسرنا ذلك وامانفس الحقيقة المخبر
عنها مثل التي لم تكن بعد وانما تكون يوم القيامة
فذلك من التاويل الذي لا يعلمه الا الله ولهذا
سيل مالك وغيره من السلف عن قوله الرحمن على
العرش استوى قالوا الاستواء معلوم والكيف
مجهول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة
وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله الاستواء معلوم
والكيف مجهول ومن الله البيان وعلى رسوله البلاغ
وعلينا الايمان فبين ان الاستواء معلوم وان كيفية
ذلك مجهوله ومثل هذا يوجد كثيرا في كلام
السلف والائمة ينفون علم العباد بكيفية صفات
الله وانه لا يعلم كيف الله الا الله ولا يعلم ما هو
الا هو وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وهذا في صحيح
مسلم وغيره وقال في الحديث الاخر اللهم اني
اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك

او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب
عندك والحديث في المسند وفي صحيح ابن حبان وقد
اخبر فيه ان لله من الاسماء ما استاثر به في علم الغيب
عنده فمعاني هذه الاسماء التي استاثر بها في علم
الغيب عنده لا يعلمها الا هو والله سبحانه اخبرنا
انه عليم قدير سميع بصير غفور رحيم الى غير ذلك
من اسمائه وصفاته فنحن نفهم معنى ذلك ونميز بين العلم
والقدرة وبين الرحمة والسمع والبصر ونعلم
ان الاسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله مع تنوع
معانيها في متفقه متواطيه من حيث الذات
متباينه من جهة الصفات وكذلك اسماء النبي صلى الله
عليه وسلم مثل محمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب
وكذلك اسماء القران مثل القران والفرقان والهدى
والنور والتنزيل والشفاء وغير ذلك ومثل هذه
الاسماء يتنازع الناس فيها هل هي من قبيل المترادفة
لاتحاد الذات او من قبيل المتباينة لتعدد الصفات
كما اذا قيل السيف والصارم والمهند وقصد

بالصارم معنى الصرم وفى الهند التشبيه الى الهند والتحقيق
انها مترادفة فى الذات متباينة فى الصفات ومما يوضح
هذا ان الله وصف القرآن كله بانه محكم وبانه متشابه
وفى موضع اخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه
فينبغى ان يعرف الاحكام والتشابه والاحكام
الذى يخص بعضه قال الله تعالى الركاب
احكمت اياته ثم فصلت فاخبر انه احكم اياته كلها
وقال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى
فاخبر انه كله متشابه والحكم هو الفصل
بين الشيئين فالحاكم يفصل بين الخصمين والحكمة فصل
بين المشتبهات علما وعملا اذا ميز بين الحق والباطل
والصدق والكذب والنافع والضار وذلك يتضمن
فعل النافع وترك الضار فيقال حكمت السفيه
واحكمته اذا اخذت على يده وحكمت الدابة واحكمتها
اذا جعلت لها حكمة وهو ما احاط بالحنك من اللجام
واحكام الشئ اتقانه فاحكام الكلام اتقانه
بتمييز الصدق من الكذب فى الخبر وتمييز الرشاد

من الغي في اوامره والقرآن كله محكم بمعنى الاتقان
فقد سماه الله حكيما بقوله تلك ايات الكتاب الحكيم
فالحكيم بمعنى الحاكم كما جعله يقص بقوله ان
هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون وجعله مفتيا في قوله قل الله يفتيكم فيهن
وما يتلى عليكم في الكتاب اي ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن
وجعله هاديا ومبشرا في قوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات واما المتشابه الذي عممه فهو ضد
الاختلاف المنفي عنه في قوله ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا الاختلاف المذكور
في قوله انكم لفي قول مختلف يوفك عنه من افك
فالمتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث
يصدق بعضه بعضا فاذا امر بامر لم ينهى بنقيضه في
موضع اخر بل يامر به او بنظيره او يملزوم ماتيه
واذا نهى عن شيء لم يامر به في موضع اخر بل ينهى عنه
او عن نظيره او عن لوازمه اذا لم يكن هناك نسخ وكذلك
اذا

اذا اخبر بثبوت شئ لم يحسن نقيض ذلك الخبر بثبوته او
بثبوت ملزومه واذا حسن نفى شئ لم يشبهه بل نفيضه او
نفى لوازمه بخلاف القول المختلف الذى ينقض بعضه بعضا
فيثبت الشئ تارة وينفيه اخرى او يأمر به وينهى عنه
فى وقت واحد او يفرق بين المتماثلين فيمدح احدهما ويذم
الاخر والاقوال المختلفة هنا هى المتضادة والمتشابهة
هى المتوافقة وهذا التشابه يكون فى المعانى فاذا
كانت المعانى توافق بعضها بعضا وتعضد بعضها بعضا
وتناسب بعضها بعضا ويشهد بعضها ببعض او يقتضى
بعضها بعضا كان الكلام متشابها بخلاف الكلام المتناقض
الذى يضاد بعضه بعضا وهذا التشابه العام لا ينافى
الاحكام العام بل هو مصدق له فان الكلام المحكم
المتقن يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضا
بخلاف الاحكام الخاص فانه ضد التشابه الخاص
والتشابه الخاص هو مشابهة الشئ لغيره من وجه
مع مخالفته له من وجه اخر بحيث يشتبه على
بعض الناس انه هو هو او هو مثله وليس كذلك

وان يكلف الانام

والاحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه احدهما بالآخر
وهذا التشابه انما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود
الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما فيكون
مشتبها عليه ومنهم من يهتدي الى ذلك فالتشابه الذي
لا يتسرع معه قد يكون من الامور النسبية الاضافية بحيث
يشتبه على بعض الناس دون بعض ومثل هذا يعرف منه اهل
العلم ما نزل عنهم هذا الاشتباه واذا اشتبه على
بعض الناس ما وعد الله في الآخرة مما يشهدونه
في الدنيا وظن انه مثله فعلم العلماء انه ليس هو مثله
وان كان مشبها له من بعض الوجوه ومن هذا الباب
الشبه التي يضل بها كثير من الناس وهي ما يشتبه الحق فيها
بالباطل حتى يشتبه على بعض الناس ومن اوتي العلم
بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل
والقياس الفاسد انما هو من باب الاشتباه لانه
تشبيه للشيء في بعض الامور بما لا يشبهه فيه فمن عرف
الفصل بين الشيئين اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه
والقياس الفاسد ومما يشبه الاجتماع في شيء ما يفترقان

في شيء منهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه
فلهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه والقياس الفاسد
لا سيما كما قال الامام احمد اكثر ما غلط الناس
من جهة التاويل والقياس فالتاويل في الادلة السمعية
والقياس في الادلة العقلية وهو كما قال والتاويل
انما يكون في الالفاظ المتشابهة والقياس انما يكون
في المعاني المتشابهة وقد وقع بني آدم في عامة
ما تناولوه هذا الكلام في انواع الضلالات حتى ان
الامر من يدعي التحقيق والتوحيد والعرفان منهم الى
ان اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود وظنوا
انه هو فجعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق
مع ان كل شيء بعد عن مماثلة شيء او ان يكون اياه او
متحدا به او حالا فيه من الخالق مع المخلوق فمن اشتبه
عليه وجود الخالق بوجود المخلوقات كلها
حتى ظنوا وجودها وجوده فهم اعظم الناس ضلالا
من جهة الاشتباه وذلك ان الوجودان يشتركان
في مسمى الوجود فراوا الوجود واحدا ولم يفرقوا

من الواحد بالعين والواحد بالنوع واخرون توهموا انه اذا
قيل الموجود ان يشترك في مسمى الوجود لزم التشبيه
والتركيب وقالوا لفظ الوجود مشترك بالاشتراك اللفظي
مخالفوا ما اتفق عليه العقلاء مع اختلاف اصنافهم من
ان الوجود ينقسم الى قديم ومحدث ونحو ذلك من
اقسام الموجودات وطايفة طنت انه اذا كانت
الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم ان يكون
الخارج عن الاذهان موجود مشترك فيه وزعموا ان في
الخارج عن الاذهان كليات مطلقة مثل وجود مطلق
وحيوان مطلق وجسم مطلق ونحو ذلك وخالفوا الحس
والعقل والشرع وجعلوا ما في الاذهان ثابتا في الاعيان
وهذا كله من نوع الاشتباه ومن هداه الله فرق
بين الامور وان اشتركت من بعض الوجوه وعلم
ما بينها من الجمع والفرق والتشابه والاختلاف وهولاء
لا يصلون بما سابه من الكلام لانهم يجمعون بينه وبين
المحكم المفارق الذي بين ما بينهما من الفصل
والافتراق وهذا كما ان لفظ انا ونحن وغيرهما من صيغ

الجمع بتكلمها الواحد الذي له شركة في الفعل وتكلمها الواحد
الذي له شركة في الفعل وتكلمها الواحد العظيم الذي له
صفات يقوم كل صفة مقام واحد او له اعوان
تابعون له لا شريك له فاذا تمثل النصارى بقوله انا نحن
نزلنا الذكر ونحوه على تعدد الالهة كان المحكم كقوله
والهكم اله واحد ونحو ذلك مما لا يحتمل الا معنى واحدا
نزل ما هناك من الاشتباه وكان ما ذكره من صيغة
الجمع مبينا لما استحقه من العظمة بالاسماء والصفات
وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم واما حقيقة
ما دل عليه ذلك من حقائق الاسماء والصفات وما
له من الجنود الذي لنستجلبهم في افعاله فما يعلم الامر
وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا من تأويل المتشابه
الذي لا يعلمه الا الله بخلاف الملك من البشر اذا قال
قد امرنا لك بعطاء فقد علم انه هو واعوانه مثل
كاتبه وحاجبه وخادمه ونحو ذلك امر وابه وقد
يعلم ما صدر عنه ذلك الفعل من اعفا دابه وارادابه
ونحو ذلك والله تعالى لا يعلم عباده الحقايق التي اخبر

عنها من صفاته وصفات اليوم الآخر ولا يعلمون حقايق
ما اراد بخلقه وامر به من الحكمه ولا حقايق ما صدر عنه
من المشيه والقدره وهذا بيّن ان المتشابه يكون الالفاظ
المتواطيه كما يكون في الالفاظ المشتركه التي لا تستنبط طبه
وانما زال الاشتباه بما عزا احد المعنيين من اضافه او
تعريف كما اذا قيل فيها انهار من ماء وهنا قد خص
هذا الماء بالجنه فظهر الفرق بينه وبين ماء الدنيا
لكن حقيقه ما امتاز به ذلك الماء غير معلوم لنا وهو ما
اعده الله لعباده الصالحين مما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر من التاويل الذي لا يعلمه الا
الله وكذلك مدلول اسمائه التي تخص هي التي هي حقيقتها
لا يعلمها الا هو وهذا كان الائمه كالامام احمد وغيره
ينكرون على الجهميه وامثالهم من الذين يحرفون الكلم عن
مواضعه تاويل ما تشابه عليهم من القرآن على غير
تاويله كما قال الامام احمد في كتابه الذي صنفه في الرد
على الزنادقه والجهميه فيما شكت فيه من متشابه القرآن
وتاولته على غير تاويله وذكر في ذلك ما تشبهت عليهم

فيما

وانما يعلم تاويله الله والراسخون في العلم

معناه وان كان لا يستبد على غيرهم وذمهم انهم تاولوه على
غير تاويله لم يبق مطلق لفظ التاويل كما تقدم من ان لفظ
التاويل يراد به التفسير المبين لمراد الله به فذاك
لا يعاب بل يحمد ويراد بالتاويل الحقيقة التي استاثر الله
بعلمها فذاك لا يعلمه الا هو وقد بسطنا هذا في غير هذا
الموضع ومن لم يعرف هذا اضطربت اقواله مثل طائفة
يقولون ان التاويل باطل وانه يجب اجراء اللفظ على ظاهره
ويحتجون بقوله وما يعلم تاويله الا الله ويحتجون
بهذه الاية على ابطال التاويل وهذا تناقض منهم
لان هذه الاية تقتضي ان هناك تاويلا لا يعلمه الا الله وهم
ينفون التاويل مطلقا ووجه الغلط ان التاويل الذي
استاثر الله بعلمه هو الحقيقة التي لا يعلمها الا هو واما
التاويل المذموم والباطل فهو تاويل اهل التحريف
والبدع الذين تاولوه على غير تاويله ويدعون صرف
اللفظ عن مدلوله الى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك
ويدعون انه في ظاهره من المحذور وربما هو بطرف المحذور
اللازم فما اثبتوه بالعقل ويصرفونه الى معان هي نظير

المعاني التي نفوها عنه فيكون ما نفوه من جنس ما اثبتوه
فان كان الاثبات حقا ممكنا كان النفي مثله وان كان
المنفي باطلا ممتنعا كان الاثبات مثله وهؤلاء الذين ينفون
التاويل مطلقا ويحتجون بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله
قد يظنون ان خوطبنا في القرآن بما لا نفهمه احدا وبما لا معنى له
او بما لا نفهم منه شيء فانه لا ظاهر له على قولهم وهذا
مع انه باطل وهو متناقض لانا اذا لم نفهمه لم نخرج ان
نقول له تاويل يخالف الظاهر ولا يوافقه لامكان
ان يكون له معنى صحيح وذلك المعنى الصحيح لا يخالف
الظاهر المعلوم لنا فلا يكون دلالته على ذلك المعنى
دلالة على خلاف الظاهر فلا يكون تاويلا ولا يجوز ان
ينفى دلالته على معان لا نعرفها على هذا التقدير فانه
تلك المعاني لم ندل عليها فلا نكون عارفين بها ولانا
اذا لم نفهم اللفظ ومدلوله المراد فلان لا نعرف دلالته
على المعاني التي لم يدل عليها اللفظ اولى لان اشعار
اللفظ بما يراد به اقوى من اشعاره بما لا يراد به فاذا كان
اللفظ لا يكون مشعرا بما يراد به فلا يجوز ان يقال ان هذا

لا يعلم تاويله الا الله

اللفظ متاول بمعنى انه مصروف عن الاحتمال المرجوح م
فضلا عن ان يقال ان هذا التاويل لا يعلمه الا الله اللهم
الا ان يراد بالتاويل ما يخالف ظاهره اللايق بالمخلوقين فلا
ريب ان اريد بالظاهر هنا ولابد ان يكون له تاويل يخالف
ظاهره لكن اذا قال هاولاء انه ليس لها تاويل يخالف
الظاهر لانها تجرى على المعانى الظاهره منها كانوا
متناقضين وان اراد وا بالظاهر هنا معنا وهنا معنى
وسياق واحد من غير بيان كان يلبسا وان اراد وا بالظاهر
مجرد اللفظ اى يجرى على مجرد اللفظ الذى يظهر من
غير وهم لمعناه كان ايضا هم للتاويل اولا ثباته تناقضا
لان من اثبت تاويلا اونفاه فقد فهم معنى من المعانى
وهذا التقسيم يتبين تناقض كثير من الناس من
نفاه الصفات ومثبتيها فى هذا الباب والله اعلم
القاعده السابعه انه لقايل ان يقول
لابد فى هذا الباب من ضابط يعرف به ما يجوز على الله
تعالى مما لا يجوز فى النفى والاثبات اذ الاعتماد فى
هذا الباب على مجرد نفى التشبيه او مطلق الاثبات من

غير تشبيه ليس بشديد وذلك انه ما من شيئين الا وبينهما
قدر مشترك وقد رسمنا فيما سلف انا في ان اعتمد فيما سلف على
ان هذا تشبيه قيل له ان اردت انه مماثل له من كل وجه
فهذا باطل وان اردت انه مشابه له من وجه دون وجه
او مشارك له في الاسم لزمك هذا في سائر ما اثبته وانتم
انما اقمتم الدليل على ابطال التشبيه والتماثل الذي فسرتموه
بانه يجوز على احدهما ما يجوز على الاخر ويمتنع عليه
ما يمتنع عليه ويجب له ما يجب له ومعلوم ان اثبات
التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما
يقول فانه يعلم بضرورة العقل امتناعه ولا يلزم
من نفي هذا نفي التشابه من بعض الوجوه كما في الاسماء
والصفات المتواطئة ولكن من الناس من يجعل التشبيه
مفسرا بمعنى من المعاني ثم كل من اثبت ذلك المعنى
قالوا انه مشبه ومنازعهم يقول ذلك المعنى ليس هو
من التشبيه وقد يفرق بعض لفظ التشبيه ولفظ التمثيل
وذلك ان المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات يقولون
كل من اثبت لله صفة قديمة فهو مشبه فمثل من

قال ان لله علما وقدرة قديمة كان عندهم مشبها ممثلا
لان القديم عند جمهورهم هو احسن وصف الاله فمن
اثبت له صفة قديمة فقد اثبت له مثلا قديما عندهم
فيشبهونه ممثلا هذا لاعتبارهم وشبه الصفات لا يوافقهم
على هذا بل يقولون احض وصفه ما لا ينتصف به غيره
مثل كونه رب العالمين والله بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير
والله اله واحد ونحو ذلك والصفة لا توصف لشئ من
ذلك ومنهم من يقول هو قديم ويقول صفة قديمة ولا
يقول هو وصفاته قديمان ومنهم من يقول هو وصفاته
قديمان لكن لا يقول ذلك لاقتضى مشاركة الصفة له
في معنى من خصايصه فان القديم ليس هو من خصايص الذات
المجردة بل هو من خصايص الذات الموصوفة بالصفات
والا فالذات المجردة لا وجود لها عندهم فضلا
عن ان تختص بالقدم وقد يقولون الذات متصفة بالقدم
والصفات متصفة بالقدم وليست الصفة الها ولا
ربا كما ان النبي وصفاته محدثة وليست صفاته نبيا فهولاء
اذا اطلقوا على الصفات اسم التشبيه والتمثيل كان هذا

ليس هو لاجل ان الصفات ممثلة بل لاجل انها قديمة بل يقولون الرب وصفاته قديمة

بحسب اعتقادهم الذي نازعهم فيه اولئك يقول لهم اولئك هب
ان هذا المعنى قد يسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيها فهذا
المعنى لم ينفه عقل ولا سمع وانما الواجب نفي ما نفته
الادله الشرعيه والعقليه والقرآن قد نفى مسمى المثل
والكفو والند ونحو ذلك ولكن يقولون الصفه في لغة
العرب ليست مثل الموصوف ولا كفوه ولا ندّه فلا يدخل
في النص والعقل فلم ينف مسمى التشبيه باصطلاح المعتزله
وكذلك ايضا يقولون ان الصفات لا تقوم الا بجسم متحيز
والاجسام متماثله فلو قامت به الصفات للزم ان
يكون مماثلا لسائر الاجسام وهذا هو التشبيه وكذلك
يقول هذا كثير من الصفاتيه الذين يسمون الصفات
ومنهم من يقول على العرش او قام الافعال الاختياريه
به ونحو ذلك ويقولون الصفات قد تقوم بما ليس بجسم
واما العلو على العالم فلا يصح الا اذا كان جسما فلو اثبتنا له
علوه للزم ان يكون جسما وحينئذ فالاجسام متماثله
فيلزم التشبيه فهذا احد هؤلاء يسمون من اثبت العلو
ونحوه مشبها ولا يسمون من اثبت السمع والبصر والكلام

ونحوه مثبتها كقوله صاحب الارشاد واصحابه وكذلك
وافقهم على القول بماثل الاجسام القاضي ابو يعلى واصحابه
من مثبته الصفات والعلوم لكن هؤلاء يجعلون
العلوم صفة خبريه كما هو اول قول القاضي ويكون الكلام
فيه كالكلام في الوجه ويقولون اما ان تكون لا بنا في
الجسم كما يقولونه في سائر الصفات والعاقل اذا تامل
وجد الامر فيما نفوه كالامر فيما اثبتوه لا فرق
واصل كلام هؤلاء هو على ان اثبات الصفات يستلزم
التجسيم والاجسام متماثله والمسلمون يحيدون عن
هذا الناره بمنع المقدمه الاولى وناره بمنع المقدمه
الثانيه وناره بمنع كل من المقدمتين وناره بالاستفصال
ولا ريب ان قولهم بماثل الاجسام قول باطل سواء فسروا
الجسم بما شار اليه او بالقائم بنفسه او بالموجود او
بالمركب من الهيولى والصوره ونحو ذلك واما اذا فسروه
بالمركب من الجواهر المنفرده وهذا مبني على صحه ذلك
وعلى اثبات الجواهر المفرده وعلى انها متماثله وجمهور
العقلا يخالفونهم في ذلك والمقصود انهم يطلقون التشبيه

على ما يعتقدونه بحسبما نبا على مماثل الاجسام والمشبهون
ينازعونهم في اعتقادهم كاطلاق الرافضه للنصب
على من تولى ابا بكر وعمر بنا على ان من احبهما فقد ابغض عليا
ومن ابغضه فهو ناصبي واهل السنه ينازعونهم في المقدمه
الاولى وهذا يقول هو لا ان الشيئين لا شبه بينهما من
وجه ويختلفان من وجه واكثر العقلا على خلاف ذلك وقد
بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين فيه
حجج من يقول بتماثل الاجسام وحجج من نفى ذلك وبين فساد
قول من يقول بتماثلها وايضا فالاعتماد هذا الطريق على
نفى التشبيه اعتماد باطل وذلك انه اذا اثبت تماثل الاجسام
فهم لا ينفون ذلك الا بالحجه التي ينفون بها الجسم واذا
ثبت ان هذا يستلزم الجسم وثبت امتناع الجسم كان
هذا وحده كافيا في نفى ذلك لا يحتاج بعد ذلك الى نفى
مسمى التشبيه لكن نفى الجسم يكون مبنيا على نفى هذا
التشبيه بان يقال لو ثبت له كذا وكذا لكان جسما
ثم يقال الاجسام متماثله فيجب اشتراكها فيما يجب ويجوز
ويمتنع وهذا ممتنع عليه لكن حينئذ يكون من

سلك هذا المسلك معتمدا في نفي التشبيه على نفي التجسيم فيكون
اصل نفيه نفي الجسم وهذا مسلك اخر سنتكلم عليه ان
شاء الله تعالى وانما المقصود هنا ان مجرد الاعتماد في نفي
ما ينفى على مجرد نفي التشبيه لا يفيد اذ ما شيئين لا
يشتبهان من وجه ويفترقان من وجه بخلاف الاعتماد
على نفي النقص والعيب ونحو ذلك مما هو منتف عنه
فان هذه طريقة صحيحة وكذلك اذا اثبت له صفات
الكمال ونفي مماثله غير له فيها فان هذا نفي مماثله فيما
هو مستحق له وهذا حقيقة التوحيد وهو ان لا يشرك
شيء من الاشياء مما هو من خصايصه وكل صفة من
صفات الكمال وهو متصف بها على وجه لا مماثله فيه
احد وهذا كان مذهب سلف الامة وايمتها اثبات
ما وصف به نفسه من الصفات ونفي مماثلة شيء من المخلوقات
فان قيل ان الشيء اذا نابه غيره من وجه جاز
عليه ما يجوز عليه من ذلك الوجه ووجب له ما وجب
له وامتنع عليه ما امتنع عليه قيل هذا الامر كذلك
ولكن اذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم اثبات

ما امتنع على الرب سبحانه ولا نفى ما يستحقه لم يكن ممتنعا كما اذا
فرض له موجود حي عليم قدير وقد يسمى بعض المخلوقات
حيا عليما سميعا بصيرا فاذا قيل يلزم انه يجوز عليه ما
يجوز على ذلك من جهة كونه موجودا حيا عليما قديرا قيل
لازم هذا القدر المشترك ليس ممتنعا على الرب فان
ذلك لا يقتضي حدوثا ولا امكانا ولا نقصا ولا شيئا مما ينافي
صفات الربوبية وذلك ان القدر المشترك بين مسمى
الوجود او الموجود او الحيوة او الحي او العليم او العلم
او السمع والبصر او السميع والبصير او القدرة او القدير
والقدر المشترك مطلق كلي لا يختص بأحدهما دون
الاخر فلم يقع بينهما اشتراك فيما يختص بالممكن المحدث
ولا فيما يختص بالواجب القديم فان ما يختص به احدهما
يمتنع اشتراكهما فيه فاذا كان القدر المشترك الذي اشتركا
فيه صفة كمال كالوجود والحيوة والعلم والقدرة ولم
يكن في ذلك ما يدل على شيء من خصائص المخلوقين كما لا يدل على
شيء من خصائص الخالق لم يكن اثبات هذا محذورا
اصلا بل اثبات هذا من لوازم الموجود وكل موجود فلا بد

سفا من مثل هذا ومن نفى هذا لزمه تعطيل وجود
كل موجود وهذا لما اطلع الايمة على ان هذا حقيقة قول
الجهمية سموهم معطلة وكان جهم ينكر ان يسمى الله شيئا
وبما قالت الجهمية هو شئ لا كالاشياء فاذا نفى القدر
المشترك مطلقا لزم التعطيل التام والمعانى التى يوصف
بها الرب تعالى كالحيوة والعلم والقدرة بل الوجود والثبوت
والحقيقة ونحو ذلك يجب انه لوازمها فان ثبوت الملزوم
بعض ثبوت اللازم وخصائص المخلوق التى يجب تنزيه
الرب عنها ليست من لوازم ذلك اصلا بل تلك من لوازم
ما يختص بالمخلوق من وجود وحيوة وعلم ونحو ذلك
والله سبحانه منزه عن خصايص المخلوق وملزوماتِ
خصايصه وهذا الموضع من فهمه فهما جيدا وتدبره
دله عنه عامة الشبهات والتباس له غلط كثير
من الاذكيا فى هذا الموضع وقد بسط هذا فى مواضع
كثيرة ومن قال ان القدر المشترك الكلى لا يوجد فى الخارج
معينا مقيدا وان معنى اشتراك الموجودات فى امر من
الامور وهو تشابهها من ذلك الوجه وان ذلك المعنى

العام يطلق على هذا الامر الموجود ان في الخارج يشاركل
احدهما للاخر في شيء موجود فيه بل كل موجود متميز
عن غيره بذاته وصفاته وافعاله ولما كان الامر كذلك
كان كثير من الناس يتناقض في هذا المقام فتارة يظن
ان اثبات القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل فيجعل ذلك
لوجه فما ظن انه ينفيه من الصفات حذرا من لزوم
التشبيه وتارة يظن انه لا بد من اثبات هذا على كل
تقدير فيجيبه فيما شبهه من الصفات لمن احتج به
من النفاة ولكثرة الاشتباه في هذا المقام وقعت الشبهة
في ان وجود الرب هل هو عين ماهيته او زايد على ماهيته
وهل لفظ الوجود يقول بالاشتراك اللفظي او بالتواطي او
التشكيك كما وقع الاشتباه في اثبات الاحوال وفي
ان المعدوم هل هو شيء او لا وفي وجود الموجودات
هل هو زايد على ماهياتها ام لا وقد كثر من ايمة النظار
الاضطراب والتناقض في هذه المقامات فتارة يقول
احدهم القولين المتناقضين ويحكي عن الناس مقالات
ما قالوها وتارة تبقى في الشك والتحيير وقد بسطنا

من الكلام في هذه المقامات وما وقع من الاشتباه والغلط
والحسن فيها لايهم الكلام والفلسفة ما لا تتسع له هذه
الجمل المختصرة وسنا ان الصواب ان وجود كل شئ في الخارج
هو ماهيته الموجودة في الخارج بخلاف الماهية التي في
الذهن فانها مغايرة للوجود في الخارج وان لفظ الوجود
كلفظ الذات والشئ والماهية والحقيقة ونحو ذلك
وهذه الالفاظ لها شواطئ واذا قيل انها مشتركة
لتفاضل معانيها فالمشترك نوع من المشاطئ العام الذي
يراعى فيه دلالة اللفظ على القدر المشترك سواء كان المعنى
متفاضلا في موارده او متماثلا وسبيا ان المعدوم
شئ ايضا في العلم والذهن لا في الخارج كما هو موجود في العلم
والذهن لا في الخارج ولا فرق بين الثبوت والوجود
لكن الفرق بين الوجود العلمي والعيني مع ان ما في
العلم ليس هو الحقيقة الموجودة ولكن هو العلم
التابع للعلم القائم به وكذلك الاحوال التي تماثلها
الموجودات وتختلفها وجود في الاذهان وليس في
الاعيان الا الاعيان الموجودة وصفاتها القائمة بها المعينة

فتشابه ذلك وتختلف بسببه والمقصود ههنا التنبيه على جمل
يختصره وجامعه من فهمها علم قدر نفعها وانفتح له باب
الهدى وامكان اغلاق باب الضلال ثم لبسطها وشرحها له
مقام اخر فلكل مقام مقال والمقصود ههنا الاعتماد على مثل
هذه الجمله مما ينفي عنهم الريب وينزه عنه كما فعله كثير
من المصنفين خطأ من قد يرد ذلك وهذا من طرق النفي الباطلة
وافسد من ذلك ما يسلكه نفاة الصفات او بعضها اذا
ارادوا ان ينزهوه عما يجب تنزيهه عنه ما هو اعظم من
الكفر مثل ان يريدوا تنزيهه عن الحزن والبكاء ونحو
ذلك ويردون الرد على اليهود الذين يقولون انه بكا
على الطوفان حتى يردوا علانية الملائكة والذين يقولون
ما اهبط بعض الشر وانه الله فان كثيرا من الناس
يحتج على ما ولا ينفي التخييل او التخيير او نحو ذلك
ويقولون لو اتصف هذه النقايص والآفات لكان جسما
او متحيزا وذلك ممتنع ولنسلكن بكم مثل هذه الطريق
اسطهر عليهم الملاحده نفاة الاسماء والصفات فان
هذه الطريق لا يحصل بها المقصود لوجوه احدها ان
وصف

وصف الله تعالى بهذه النقايص والآفات اظهر فسادا
في العقل والدين من نفي التحيز والتجسيم فان هذا ينبه
من الاشتباه والنزاع والخفا ما ليس في ذلك وكم صاحب
ذلك معلوم بالضرورة من دين الاسلام والدليل معرف
للمدلول ومن ثم فلا يجوز ان يستدل على الاظهر
الاجلى بالاخفى كما لا يفعل مثل ذلك في الحدود والوجه
الثاني ان يقال ولاء الذين يصفونه بهذه الآفات كلهم
ان يقولوا ليس لا يقول بالتجسيم والتحيز كما يقوله مثبتو
الصفات وينفي التحيز فيصير نزاعهم مثل نزاع مثبتة
صفات الكمال فيصير كلام من وصف الله تعالى بصفات
الكمال وصفات النقص واحدا وسقط رد النفاة على
الطايفتين بطريق واحد ومما في هذا الفساد
الثالث ان هذا لا ينفي صفات الكمال بمثل
هذه الطريقة وانما نفاه بصفات الكمال واجب
ثابت بالعقل والسمع فيكون ذلك دليلا على فساد هذه
الطريقة الرابع ان سالكي هذه الطريق متناقضون
وكل من اثبت شيئا منهم لزمه الاخر بما وافقه فيه النفي ومثبته

من ١٣ باب كما ان كل من نفى شيئا منهم لزمه الاخر بما وافقه فيه من

الصفات كالحيوة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر
اذا قالت لهم النفاة كما لمعتزلة هذا يحسم لان هذه
الصفات اعراض والعرض لا يقوم الا بالجسم اولا نا لا نعرف
موصوفا بالصفات الا جسما قالت لهم المثبتة وانتم قد
سلمتم انه حي عليم قدير وقلتم ليس بجسم وانتم لا تعقلون
موجودا حيا عالما قادرا الا جسما فقد اتفقتم على
خلاف ما علمتم فكذلك نحن وقالوا لهم انتم اثبتم حيا عالما
قادرا لا بحيوة ولا علم ولا قدرة وهذا نقض
لعلم بضرورة العقل ثم هؤلاء المثبتة اذا قالوا لمن
اثبت انه يرضى ويغضب ويحب ويبغض او من وصفه
بالاستواء والنزول والاتيان والمجيء او بالوجه واليد
ونحو ذلك اذا قالوا هذا يقتضي التجسيم لانا لا نعرف
ما يوصف بذلك الا ما هو جسم قالت لهم المثبتة
فانتم قد وصفتموه بالحيوة والعلم والقدرة والسمع والبصر
والكلام وهذا هكذا فان كان هذا لا يوصف به الا
الجسم فالاخر كذلك وان امكن ان يوصف باحدهما ما ليس
بجسم فالاخر كذلك فالفريق بينهما تفريق بين المتماثلين

ولهذا كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقايص هذه
الطريق طريقا فاسدا لم يسلكه احد من السلف والائمة
فلم يطلق احد منهم في حق الله الجسم لا نفيا ولا اثباتا
ولا الجوهر والجحز ونحو ذلك لانها عبارات مجملة لا
تحق حقا ولا تبطل باطلا وهذا لم يذكر الله في كتابه
ما انكره على اليهود وغيرهم من الكفار ما هو من هذا
النوع بل هذا هو من الكلام المبتدع الذي انكره السلف
والائمة فصل واما في طرق الاثبات فمعلوم ايضا
ان المثبت لا يكفي في اثباته مجرد نفي التشبيه اذ لو كفى
في اثباته مجرد نفي التشبيه لجاز ان يوصف الله سبحانه وتعالى
من الاعضاء والافعال بما لا يكاد يحصى مما هو ممتنع عليه
مع نفي التشبيه عنه وان يوصف بالنقايص التي لا يجوز عليه
مع نفي التشبيه كما لو وصفه مفتر عليه بالبكاء والحزن
والجوع والعطش مع نفي التشبيه وكما لو قال المفتري
ياكل لا كاكل العباد ويشرب لا كشربهم ويبكي
ويحزن لا كبكايهم ولا حزنهم كما قال يضحك لا كضحكهم
ويفرح لا كفرحهم ويتكلم لا ككلامهم ويجاز ان يقال له

اعضا كثيرين لا كاعضائهم كما قيل له وجه لا كوجوههم
ويدان لا كايديهم حتى يذكر المعده والامعاء والذكر
وغير ذلك مما تعالى الله عز وجل عنه سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا فانه يقال لنا في ذلك مع اثبات
الصفات الخبريه وغيرها من الصفات ما الفرق بين
هذا وبين ما اثبته اذا نفيت التشبيه وجعلت
بحرد نفي التشبيه كافيا في الاثبات فلا بد من اثبات فرق
في نفس الامر فان قال العمده في الفرق هو السمع فاجاب
له اثبته دون ما لم يجئ به السمع فيقال له اولا السمع هو
خبر الصادق عما هو الامر عليه في نفسه فما اخبر به
الصادق فهو حق من نفي او اثبات والخبر دليل
على المخبر عنه والدليل لا ينعكس فلا يلزم من عدم
المدلول عليه فلم يرد به السمع جواز ان يكون ثابتا
في نفس الامر وان لم يرد به السمع اذ لم يكن قد
نفاه ومعلوم ان السمع لم ينف كل هذه الامور
باسمائها الخاصه فلا بد من ذكر ما ينفيها من السمع
والا فلا يجوز حينئذ نفيها كما لا يجوز اثباتها وايضا

فلا

فلابد في نفس الامر من فرق بين ما اثبت له ونفي عنه فان
الامور المتماثلة في الجواز والوجوب والامتناع يمتنع اختصاص
بعضها دون بعض بالجواز والوجوب والامتناع ولابد
من اختصاص المنفي عن المثبت بما يخصه بالنفي ولابد من
اختصاص الثابت عن المنفي بما يخصه بالثبوت وقد
يعبر عن ذلك بان يقال لابد من امر يوجب نفي ما يجب نفيه
عن الله كما انه لابد من امر يثبت له ما هو ثابت
وان كان السمع كافيا كان مخبرا عما هو الامر عليه في نفسه
وما الفرق بين هذا وهذا فمقال كل ما ينفي صفات
الكمال الثابتة لله فهو منزه عنه فان ثبوت احد الضدين
يستلزم نفي الاخر فاذا علم انه موجود واجب الوجود
بنفسه وانه قديم واجب القدم علم امتناع العدم والحدوث
عليه وعلم انه غني عما سواه والمفتقر الى سواه في بعض
ما يحتاج اليه نفسه ليس موجودا بنفسه بل بنفسه وبذلك
الاخر الذي اعطاه ما يحتاج اليه نفسه لكن موجودا
بنفسه بل بنفسه وبذلك الاخر الذي اعطاه ما يحتاج اليه
نفسه فالواحد الابد هو سبحانه غني عن كل ما سواه

وكل ما نافى غناه فهو منزه عنه وهو سبحانه قدير قوى فكل ما
نافى قدرته وقوته فهو منزه عنه وهو سبحانه حى قيوم فكل
ما نافى حيوته وقيوميته فهو منزه عنه وبالجملة فالسمع قد اثبت
له من الاسماء الحسنى وصفات الجمال ما قد ورد وكلما صادق ذلك
فالسمع ينفيه كما ينفى عنه المثل واللغوب فان اثبات الشئ ينفى
لضده وكما يستلزم ضده والعقل يعرف نفى ذلك كما يعرف
اثبات ضده فاثبات احد الضدين نفى الاخر وكما يستلزمه
وطرق العلم نفى ما ينزه الرب عنه متنوعة لا يحتاج فيها الى
الاقتصار على مجرد نفى التشبيه كما فعله اهل القصور
والتقصير الذين ناقصوا فى ذلك وفرقوا بين المتماثلين حتى
ان كل من اثبت شيئا احتج عليهم بما نفاه بانه يستلزم التشبيه
وبذلك احتجت القرامطة على نفى جميع الامور حتى نفوا النفى
فقالوا لا يقال موجود ولا ليس موجود ولا حى ولا ليس
بحى لان ذلك تشبيه بالموجود او المعدوم فلزمهم نفى
النقيضين وهو اظهر الاشياء امتناعا ثم ان هؤلاء لما لزمهم
من تشبيهه بالمعدومات والممتنعات والجمادات اعظم
مما فروا منه من التشبيه بالاحياء الكاملين وطرق تنزيهه

ونقدس نسبه عما هو منزه عنه متسبحه لاحتاج الى مدا
وقد تقدم ان ما نفى عنه سبحانه نفى لتضمن النفى الاثبات اذ مجرد
النفى لا مدح فيه ولا كمال فان المعدوم يوصف بالنفى والمعدوم
لا شبه الموجود وليس هذا مدحا له بل مشابهة الناقص
فى صفات النقص معتص مطلقا كما ان مماثله المخلوق فى شئ من
الصفات بمثل ونسبه منزه عنه الرب تبارك وتعالى والنقص
ضد الكمال وقد علم ان الله حى والموت ضد ذلك
فهو منزه عنه وكذلك النوم واليسنه ضد كمال الحيوة
فان النوم اخو الموت وكذلك اللغوب نقص فى القدرة والقوة
والاكل والشرب ونحو ذلك من الامور فيه افتقار الى
موجود غيبن كما ان الاستعانة بالغير والاعتضاد به
ونحو ذلك تتضمن الافتقار اليه والاحتياج اليه فكل
من يحتاج الى شئ يحمله او يعينه على قيام ذاته وافعاله فهو
مفتقر اليه ليس مستغنيا بنفسه فكيف من يأكل
ويشرب والاكل والشارب احوج والمصمت الصمد اكمل
من الاكل الشارب ولهذا كانت الملائكه صمدا لا تأكل
ولا تشرب وقد تقدم ان كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق اولى به

وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق اولى بتنزيهه عن ذلك
والسمع وقد نفى ذلك في غير موضع كقوله الصمد والصمد
الذي لا جوف له ولا ياكل ولا يشرب وهذه السور هي
بسبب الرحم وهي الاصل في هذا الباب وقال في حق المسيح وامه
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلان الطعام فجعل ذلك دليلا على نفي الالوهية
فدل ذلك على تنزيهه عن ذلك بطريق الاولى والاحرى
والكبد والطحال ونحو ذلك هي اعضاء الاكل والشرب فالغني
المنزه عن ذلك تنزه عن الاتصاف بخلاف اليد فانها للعمل
والفعل وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل اذ ذاك
من صفات الكمال فمن يقدر ان يفعل اكمل ممن لا يقدر على
الفعل وهو سبحانه منزه عن الصاحبة والولد وعن الاب
ذلك واشباهه وكذلك البكاء والحزن هو مستلزم للضعف
والعجز الذي ينزه الله عنه بخلاف الفرح والغضب
فانه من صفات الكمال وكما يوصف بالقوة دون العجز
وبالعلم دون الجهل وبالحياة دون الموت وبالسمع دون الصمم
وبالبصر دون العمى وبالكلام دون البكم وكذلك

اصل

يوصف بالفرح دون الحزن والضحك دون البكا ونحو ذلك وايضا
فقد ثبت بالعقل ما نبته السمع من انه سبحانه لا كقوله
ولا سمي له وليس كمثله شئ ولا يجوز ان يكون جسما ولا جسمه
شئ من المخلوقات ولا حقيقة شئ من صفاته كحقيقته شئ
من صفات المخلوقات ومعلوم قطعا انه ليس من جنس
المخلوقات لا الملايكة ولا السموات ولا الكواكب ولا
الهوآء ولا الماء ولا الارض ولا الادميين ولا ابدانهم ولا
انفسهم ولا غير ذلك بل العلم ان حقيقته عن مماثلة شئ من
الموجودات ابعد من سائر الحقايق وان مماثلته ليس منها
ابعد شئ من مماثلة جسمه شئ من المخلوقات لحقيقة
مخلوق اخر فان الحقيقتين اذا تماثلتا جاز على كل
واحد ما يجوز على الاخرى ويجب لهما ما وجب
لها فيلزم ان يجوز على الخالق العدم الواجب لنفسه ما يجوز
على المحدث المخلوق من العدم والحاجة وان تثبت لهذا
ما يثبت لذاك من الوجوب والغنى فيكون الشئ الواحد
واجبا ممكنا غير واجب لنفسه موجودا معدوما
وذلك جمع بين النقيضين وهذا مما يعلم به بطلان قول

المشبهة الذين يقولون بصر كبصري ويد كيدي ونحو ذلك تعالى الله
عن قولهم علوا كبيرا وليس المقصود هنا استيفاء ما يثبت له
وما ينزه عنه وطرق ذلك لان ذلك مبسوط في غير هذا الموضع
وانما المقصود هنا التنبيه على جوامع ذلك وطرقه وما
سكت عنه السمع نفيا واثباتا ولم يكن في العقل ما يثبته
ولا ينفيه سكتنا عنه فلا نثبته ولا ننفيه فمتى ما علمنا
سوته ونفي ما علمنا نفيه وسكتنا عما لم نعلم نعمه ولا اثباته
والله اعلم فصل واما الاصل الثاني وهو التوحيد
في العبادات المتضمن للايمان بالشرع والقدر جميعا فنقول
انه لا بد من الايمان بخلق الله وامره فنحن الايمان بان الله خالق
كل شيء وربه ومليكه وانه على كل شيء قدير وانه ما
شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بالله وقد
علم ما سيكون قبل ان يكون وقدر المقادير وكتبها
حيث شاء كما شاء قال الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر مقادير
الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة

وكان

وكان عرشه على الماء وحد الايمان بان الله تعالى امر بعبادته وحده
لا شريك له وما خلق الانس والجن لعبادته وذلك ارسل رسله
وانزل كتبه وعبادته تتضمن كمال الذل له والحب له وذلك
تتضمن طاعته ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقد
قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وقد قال تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من
دون الرحمن الهة يعبدون وقال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
وقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا
ربكم فاتقون فامر الرسل باقامة الدين وان لا يتفرقوا فيه
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
انا معشر الانبياء ديننا واحد الانبياء اخوة لعلات

وان أولى الناس بابن مريم لانا انه ليس بيني وبينه نبي وهذا
الدين هو دين الاسلام الذي لا يقبل الله دينا غيره لا من
الاولين ولا من الاخرين فان جميع الانبياء على دين الاسلام
قال تعالى عن نوح واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله الى
قوله تعالى من المسلمين وقال عن ابراهيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم
الى قوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقال عن موسى يا قوم ان
كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال
في خبر المسيح واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي
قالوا امنا واشهد بانا مسلمون وقال فيمن تقدم من الانبياء
يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقال عن بلقيس انها
قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت لله رب العالمين
فالاسلام يتضمن الاستسلام لله وحده فمن استسلم له ولغيره
كان مشركا ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته
والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر والاستسلام لله وحده
متضمن عبادته وحده وطاعته وحده وهذا دين الاسلام الذي
لا يقبل الله غيره وذلك انما ان يطاع في كل وقت بفعل ما امر

بسم في ذلك الوقت فاذا مرى اول الامر باستقبال الصخره
ثم امر ثانيا باستقبال الكعبه كان كل من الفعلين جزء امر به
داخلا في دين الاسلام فالدين هو الطاعه والعباده له في
الفعلين وانما تنوع بعض صور الفعل وهي وجهه المصلي
فكذلك الرسل دينهم واحد وان تنوعت الشرعه والمنهاج
والوجهه والمنسك وذلك لا يمنع ان يكون الدين واحدا
كما لم يمنع ذلك في شريعه الرسول الواحد والله تعالى
جعل من دين الرسل ان اولهم مبشر باخرهم ومومن
به واخرهم مصدق لهم ومومن به قال الله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمه
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال
اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال
فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقال ابن عباس
لم يبعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لين بعث محمد
وهو حي ليومنن به ولينصرنه وامره ان ياخذ الميثاق على
امته وهم احياء ليومنن به ولينصرنه وقال
تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب

ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم
عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وجعل الايمان هو ملازما وكفر من قال انه امن ببعض الكتب
وكفر ببعض قال تعالى ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وقال تعالى افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم
الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون وقد قال لنا قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له
مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا
فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
فامرنا ان نقول امنا بهذا كله ونحن بالله مسلمون ثم
لعنة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقر بما جاء به من

مسلما ولا مؤمنا بل يكون كافرا وان زعم انه مسلما
او مؤمنا كما ذكروا انه لما انزل الله ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه قالت اليهود والنصارى فنحن مسلمون
فانزل الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا وقال تعالى ومن كفر فان الله غني عن
العالمين فان الاستسلام لله لا يتم الا بالاقرار بالله على
عباده من حج البيت كما قال صلى الله عليه وسلم بني
الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة وصوم رمضان
وحج البيت وهذا الى وقف الهي صلى الله عليه وسلم بعرفة
انزل الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقد تنازع الناس
فيمن تقدم من امة موسى وعيسى هل هم مسلمون ام لا وهو
نزاع لفظي فان الاسلام الخاص الذي بعث الله به محمدا
صلى الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه الا
امة محمد صلى الله عليه وسلم والاسلام اليوم عند الاطلاق
يتناول هذا ولهذا واما الاسلام العام المتناول لكل

شريعة بعث الله بها نبيا فانه يتناول اسلام كل امة
متبعة لنبي من الانبياء وبالجملة الاسلام مطلقا شهادة ان
لا اله الا الله وبها بعث الله جميع الرسل كما قال
تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال
عن الخليل اذ قال لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي
فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم
يرجعون وقال تعالى عنه افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم وابآؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وقال
تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون وذكر عن رسله كنوح وهود
وصالح وغيرهم انهم قالوا لقومهم اعبدوا الله ما لكم

من الله عز وجل فقال عز من قائل الكهف انهم فتية امنوا بربهم
وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا
شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون
عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
وقد قال سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وذلك في موضعين من كتابه وقد
سمى كتابه الشرك بالانبياء والشرك بالكواكب
والشرك بالاصنام واصل الشرك الشرك بالشيطان
فقال عز من قائل اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً
من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون
وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب
ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت

وقيلهم تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله
ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً
كفر ومعلوم ان احداً من الخلق لم يزعم ان احداً
من الانبياء والاحبار او الرهبان او متكلم شاركوا الله في
خلق السموات والارض بل ولا زعم احد من الناس
ان العالم له صانعان متكافيان في الصفات
والافعال بل ولا اثبت احد من بني آدم الهاً مساوياً
لله في جميع صفاته بل عامة المشركين بالله مقرون
بانه ليس شريكه مثله بل عامتهم يعرفون ان الشريك
مملوك له سواء كان ملكاً او نبياً او كوكباً او صنماً كما
كانت مشركوا العرب تقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك
الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك فاهل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالتوحيد فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا
شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك
وقد ذكر ارباب المقالات ما جمعوا من مقالات الاولين

والاخرين في الملل والنحل والاراء والديانات فلم يعلموا عز
احد لنا في شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات
ولا مماثل له في جميع الصفات بل من اعظم ما نقلوا في ذلك
قول الثنوية الذين يقولون بالاصلين النور والظلمة وان
النور خلق الخير والظلمة خلقت الشر ثم ذكروا
لهم في الظلمة قولين احدهما انها محدثة مكونة من جملة المخلوقات
له والثاني انها قديمة لكنها لم تفعل الا الشر
وكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور
وقد اخبر سبحانه عن المشركين من اقرارهم
بان الله خالق المخلوقات ما سنه في كتابه فقال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم
ما تدعون من دون الله ان اراداني الله بضر هل هن
كاشفات ضره او اراداني برحمة هل هن ممسكات
رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال
تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت

كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون
الله قل فانى تسحرون الى قوله ما اتخذ الله من ولد وما
كان له من الهة اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون وقال تعالى وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون وهذا وغيره يعرف ما
وقع من الغلط فى مسمى التوحيد فان عامة المتكلمين
الذين يقسمون التوحيد فى كتب الكلام والنظر
غايتهم ان يجعلوا التوحيد ثلثة انواع ويقولون
هو واحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا
شبيه له وواحد فى افعاله لا شريك له واشهر الانواع
عندهم فى الثلثة هو الثالث وهو توحيد
الافعال وهو بيان ان خالق العالم واحد وهم يحتجون
على ذلك بما ذكروه من دلالة التمانع وغيرها
ويظنون ان هذا هو التوحيد المطلوب وان بهذا هو
معنى قولنا لا اله الا الله حتى ويجعلون معنى الالهية
هو القدرة على الاختراع ومعلوم ان المشركين من العرب الذين
الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يخالفون

في هذا اهل ثنوا القدرية بان الله خالق كل شيء حتى انهم كالمجوس
بالعدد ايضا وهم مع هذا مشركون وقد تبين ان ليس في
العالم من ينازع في اصل هذا الشرك ولكن غايته ما يقال
ان من الناس من جعل بعض الموجودات خلقا لغير الله
كالقدرية وغيرهم لكن هؤلاء يقرون بان الله خالق
العباد وخالق قدرتهم وان قالوا انهم خلقوا افعالهم
وكذلك اهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون
بعض المخلوقات مبدعة لبعض الامور مع الاقرار بالصانع
يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة لا تقولون
انها غنية عن الخالق مشاركة له في الخلق فما من احد
الصانع فذاك جاحد معطل للصانع كالقول الذي
اظهره فرعون واعلام الآن مع المشركين بالله المقرين
بوجوده فاما هذا التوحيد الذي قرروه لا ينازعهم
فيه هؤلاء المشركون بل يقرون به مع انهم مشركون
كما نطق به الكتاب والسنة والاجماع وما علم بالاضطرار
من دين الاسلام وكذلك النوع الثاني وهو قولهم
لا شبيه له في صفاته فانه ليس كالادميين فان ثبت قدما مماثلا

له في ذاته سواء قال انه شاركه او قال انه لا فعل له بل
من شبهه بشيء من مخلوقاته فانما كان تشبيهه في بعض
الامور وقد علم بالعقل امتناع ان يكون له مثل من المخلوقات
مشاركة فيما يجب او يجوز او يمتنع عليه فان ذلك يستلزم
الجمع بين النقيضين كما تقدم وعلم ايضا بالعقل ان كل
موجودين فانه لا بد بينهما من قدر مشترك
كاتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو
ذلك وان نفي ذلك يقتضي التعطيل المحض وانه لا بد من
اثبات خصائص الرب به وقد تقدم الكلام على ذلك وان
الجهمية من المعتزلة وغيرهم اذا نفوا الصفات
في مسمى التوحيد فصار من قال ان الله علما وقديرا
او انه يرى او ان القرآن كلام الله غير مخلوق يقولون انه
مشبه ليس بموحد وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والباطنية
فنفوا اسماءه الحسنى وقالوا من قال ان الله عليم
قدير عزيز حكيم فهو مشبه ليس بموحد وزاد غلاة
الغلاة وقالوا لا توصف بنفي ولا اثبات لان في
كل منهما تشبيها له وهذا كلهم وقعوا في جنس التشبيه

في ما يوصف به نفسه فانهم يشبهونه بالممتنعات والمعدومات
والجامدات وهذا من اشبههم بزعمهم بالاحياء والمعلوم
ان هذه الصفات الباطنة لا سبيل له على حد ما ثبت
للمخلوق اصلا وهو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا
في صفاته ولا في افعاله ولا فرق بين اثبات الذات
واثبات الصفات فاذا لم يكن في اثبات الذات
اثبات مماثلة الذوات لم يكن في اثبات الصفات اثبات
مماثلة له في ذلك فصار هؤلاء الجهمية المعطلة يجعلون
هذا توحيدا ويجعلون مقابله ذلك التشبيه ويسمون
نفوسهم الموحدين وكذلك النوع الثالث وهو قولهم
واحد لا وسيم له في ذاته ولا جزء له ولا بعض له لفظ
مجمل فان الله سبحانه احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فيمتنع عليه ان يتفرق او يتجزأ او يكون
قد ركب من اجزاء كما هم يحرفون في هذا اللفظ
نفي علوه على عرشه ومباينته لخلقه وامتيازه عنهم
ونحو ذلك من المعاني الملازمة لنفيه وتعطيله
ويجعلون ذلك من التوحيد فقد تبين ان ما يسمونه هم

بتوحيد الله ما هو حق وينفيه ما هو باطل ولو كان جميعه
حقا فان المشركين اذا اقروا بذلك لم يخرجوا من الشرك
الذي وصفهم به القرآن وقاتلهم عليه الرسول بل لا بد ان
يعترفوا بانه لا اله الا الله وليس المراد بالاله هو القادر
على الاختراع وان من اقر بان الله هو القادر على الاختراع
دون غيره فقد شهد انه لا اله الا هو فان المشركين كانوا
يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه بل الاله الحق هو
الذي يستحق ان يعبد وهو اله بمعنى مألوه لا اله بمعنى اله
والتوحيد ان يعبد الله وحده لا شريك له والاشراك ان
يجعل مع الله الها اخر واذا تبين ان غاية ما يقرره هؤلاء
النظار اهل الاثبات للقدر المنتسبون الى السنة
انما هو توحيد الربوبية وان الله رب كل شيء ومع هذا
فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع انهم مشركون وكذلك
طوائف من اهل التصوف المنتسبين الى المعرفة والتحقيق
والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا
التوحيد وهو ان يشهد ان الله رب كل شيء ومليكه
وخالقه لا سيما اذا غاب العارف بمشهوده عن وجوده

ومشهوده عن شهوده ومعروفه عن معرفته ودخل في فناء
توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل وهذا
عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها ومعلوم ان هذا امر
يحقق ما اقر به المشركون من التوحيد ولا يصير الرجل بمجرد
هذا التوحيد مسلما فضلا عن ان يكون وليا او من سادات
الاولياء وطائفة من اهل التصوف والمعرفة يقررون
هذا التوحيد مع اثبات الصفات فيقولون في توحيد
الربوبية مع اثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته
واخرون يضمون هذا الى نفي الصفات فيدخلون في
التعطيل مع هذا وهذا اشر من حال كثير من
المشركين وكان جهم ينفي الصفات ويقول بالجبر
فهذا يحقق قولهم لكنه اذا اثبت الامر والنهي
والثواب والعقاب فارق المشركين من هذا الوجه
لكن جهما ومن اتبعه يقول بالارجاء وضعف الامر والنهي
والعقاب عنده والنجارية والضرارية وغيرهم يقربون
من جهم في مسائل القدر والايمان مع مقاربتهم ايضا
له في نفي الصفات والكلابية والاشعرية خير من هؤلاء

في باب الصفات فانهم ينفون بها الصفات العقلية وانما تنفي
الصفات الخبرية ايضا كما قد فصلت اقوالهم في غير هذا الموضع
واما في باب القدر ومسايل الاسماء والاحكام فاقوالهم متقاربة
والكلابية اتباع ابي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب الذي سلك
الاشعري خلفه واصحاب ابن كلاب كالحرث المحاسبي وابي العباس
القلانسي ونحوهما خير من الاشعرية في هذا وهذا وهذا
فكلما كان الرجل الى السلف والائمة اقرب كان قوله اعلى
وافضل والكرامية قولهم في باب الايمان قول منكر لم يسبقهم
اليه احد حيث جعلوا الايمان قولا باللسان مع عدم تصديق
القلب فيجعلون المنافق مؤمنا لكنه يخلد في النار وخالفوا
الجماعة في الاسم دون الحكم واما في الصفات والقدر والوعد
والوعيد فاقوالهم اكثر طوايف الكلام التي في اقوالها مخالفة
للسنة واما المعتزلة فهم ينفون الصفات ويعارضون
قولهم لكنهم ينفون القدر ومع ذلك عظموا الامر
والنهي والوعد والوعيد وعلوا فيه فهم يكذبون بالقدر
ففيهم نوع من الشرك من هذا الباب والاقرار بالامر
والنهي والوعد والوعيد ولهذا لم يكن في زمن الصحابة

في الكلام

مع انكارهم القدر خالفوا في الامر والنهي والوعد والوعيد

والثابعين من نفى الامر والنهى والوعد والوعيد وكان
قد نبغ فيهم القدريه كما نبغ فيهم الخوارج الحروريه وانما يظهر
من البدع اولا ما كان اخف وكلما ضعف من يقوم بنور
النبوه فوتت البدعه وهم ولا المتصوفون الذين يشهدون
الحقيقه الكونيه مع اعراضهم عن الامر والنهى شر من
القدريه المعتزله وبحوهم واولئك يشهدون المجوس وهو كذبه
يشهدون المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا
اباونا ولا حرمنا من شئ والمشركون شر من المجوس فهذا
اصل عظيم على المسلم ان يعرفه فانه اصل الاسلام الذى
تميز به اهل الايمان من اهل الكفر وهو الايمان
بالوحدانيه والرسالة شهاده ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وقد وقع كثير من الناس فى الاخلا
بحصفه هذين الاصلين او احدهما مع ظنه انه فى
غايه التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفه فاقرار المرء بان
الله رب كل شئ ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب
الله ان لم يقترن به الاقرار بانه لا اله الا الله فلا
يستحق العباده احد الا هو وان محمدا رسول الله فيجب

تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر ولا بد من الكلام في هذين
الفصلين الفصل الاول في توحيد الالهية فانه سبحانه
اخبر عن المشركين كما تقدم انهم اتخذوا وسائط بينهم وبين الله
يدعونهم ويتخذونهم شفعاء يعبدون الله قال تعالى وهم
يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون
فاخبر ان هؤلاء اتخذوا هؤلاء الشفعاء مشركون
وقال تعالى عن مؤمن يس ومالي لا اعبد الذي
فطرني واليه ترجعون اأتخذ من دونه الهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا
لفي ضلال مبين اني امنت بربكم فاسمعون وقال
تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فاخبر
عن شفعائهم انهم زعموا انهم فيهم شركاء وقال تعالى
ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا

ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون وقال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا
شفيع وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقد قال
تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال
تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما
له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قال طابقه

من السلف كان العوام يدعون العزير والمسيح والملائكة فانزل
الله هذه الآية من فيها ان الملائكة والانبياء يتقربون الى
الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه ومن تحقيق التوحيد
ان تعلم ان الله انبت له حقا لا يشركه فيه مخلوق في العبادة
والتوكل والخوف والتقوى قال الله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص وقال
تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له ديني وقال
تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما من
الرسل يقول اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال في التوكل
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل
المتوكلون قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال
تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله
الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
فقال في الايتاء اتاهم الله ورسوله وقال في التوكل
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يقل ورسوله لان الايتاء

فقال الحاسع مع الله الخ
الخ ومعنى ما ذكرته لا

هو الاعطا الشرعي وذلك يتضمن الاباحه والاجلال
الذي بلغه الرسول فان الحلال ما حلله والحرام ما حرّمه
والدين ما شرعه قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا واما الحسب فهو الكافي والله
وحده كافي عبده كما قال الذين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فهو وحده حسبهم كلهم وقال
تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي حسبك
وحسب من اتبعك من المؤمنين هو الله فهو كافيكم
كلكم وليس المراد ان الله والمؤمنين حسبك كما يظنه
بعض الغالطين اذ هو وحده كافي نبيه وهو حسبه ليس
معه من يكون هو واياه حسبا للرسول وهذا في اللغة كقول الشاعر
فحسبك والضحاك سيف مهند ويقول العرب
حسبك وزيدا درهم اي يكفيك وزيدا جميعا درهم
وقال في الخوف والخشيه والتقوى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفايزون فاثبت الطاعه
لله والرسول واثبت الخشيه والتقوى لله وحده كما قال

نوح عليه السلام انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون فجعل العباده والتقوى لله وحده وجعل الطاعة
له فانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى فلا
تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين وقال الخليل
عليه السلام وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم
بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالامن ان
كنتم تعلمون فقال تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وفى الصحيحين
عن ابن مسعود لما نزلت هذه الاية شق ذلك على اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال
النبى صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك الم تسمعوا الى
قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم وقال تعالى
فاياى فارهبون واياى فاتقون ومن هذا الباب ان النبى صلى
الله عليه وسلم كان يقول فى خطبته من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولن يضر الله شيئا
وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء
الله ثم شاء محمد ففى الطاعه قرن اسم الرسول باسمه بحرف

الواو وفي المشيه امران نجعل ذلك بحرف ثم وكذلك لا طاعه
الرسول طاعه الله فمن يطع الرسول فقد اطاع الله وطاعه
الله طاعه للرسول بخلاف المشيه فليست مشيه احد
من العباد مشيه لله ولا مشيه الله مستلزمه لمشيه
العباد بل ما شاء الله كان وان لم يشا الناس وما شاء الناس
لم يكن ان لم يشا الله والفصل الثاني حق الرسول
صلى الله عليه وسلم فعلينا ان نؤمن به ونطيعه ونتبعه
ونرضيه ونحبه ونستسلم لحكمه وامثال ذلك قال
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه وقال تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وامثال ذلك
فصل واذا تبين هذا فمن المعلوم انه يجب الايمان

بخلق الله وامره بقضايه وشرعه واهل الضلال الخايضون
في القدر انقسموا الى ثلث فرق مجوسية ومشركية وابليسية؟
فالمجوسية الذين كذبوا بقدر الله وان امنوا بامر ونهيه فعلانهم
انكروا العلم والكتاب ومقتضاهم انكروا عموم مشيته
وخلقه وقدرته وهاولاء هم المعتزلة ومن وافقهم والفرقة
الثانية المشركية الذين اقروا بالقضاء والقدر وانكروا
الامر والنهي وقال الله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء
الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء فمن احتج على
تعطيل الامر والنهي بالقدر فهو من هولاء وهذا قد كثر
فيمن يدعي الحقيقة من المتصوفة والفرقة الثالثة الابليسية
وهم الذين اقروا بالامر لكن جعلوا هذا نقضا
من الرب وطعنوا في حكمته وعدله كما يذكر مثل ذلك عن
ابليس مقدمهم كما نقله اهل المقالات ونقل عن اهل الكتاب
والمقصود في هذا ما يقوله اهل الضلال واما اهل
الهدى والفلاح فيومنون بهذا وهذا ويومنون بان الله خالق
كل شيء وربه ومليكه ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن
وهو على كل شيء قدير احاط بكل شيء علما وكل شيء احصاه

فى امام مبين ويتضمن هذا الاصل من اثبات علم الله وقدرته
ومشيئته ووحدانيته فى ربوبيته والله خالق كل شئ وربه
ومليكه ما هو من اصول الايمان ومع هذا لا ينكر ما خلقه
الله من الاسباب التى يخلق بها المسببات كما قال تعالى حتى
اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء
فاخرجنا به من كل الثمرات وقال يهدى به الله من
اتبع رضوانه سبل السلام وقال تعالى يضل به كثيرا
ويهدى به كثيرا فاخبر انه يفعل بالاسباب ومن قال ان الفعل
عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القرآن وانكر ما خلقه
الله من القوى والطبايع وهو شبيه بانكار القوى التى
خلقها الله فى الحيوان التى يفعل الحيوان بها مثل قدرة
العبد كما ان من جعلها هى المبدعة لذلك فقد اشرك بالله
واضاف فعله الى غيره وذلك انه ما من سبب من الاسباب
الا وهو مفتقر الى آخر فى حصول مسببه ولا بد له من
مانع يمنع مقتضاه اذا لم يدفعه الله عنه فليس فى الوجود
شئ واحد يفعل شيئا الا الله وحده قال الله تعالى
ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون اى تعلمون

ان خالق الازواج واحد وهذا من قال ان الله لا يصدر عنه الا
واحد لان الواحد لا يصدر عنه الا واحد كان جاهلا فانه
ليس في الوجود واحد صدر عنه وجود شيء لا واحد ولا اثنان
الا الله الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون فالنار التي جعل الله فيها حرارة لا تحصل
الاحراق الا بها وتحل يقبل الاحراق فاذا وقعت على
الشمندل والياقوت ونحوهما لم تحرقها وقد يبطل الجسم
بما يمنع احراقه والشمس التي يكون عنها الشعاع لا بد من جسم
يقبل انعكاس الشعاع عليه واذا جعل حاجز من سحاب او
سقف لم يحصل من تمام التوحيد الشعاع تحته وقد يبسط
هذا في غير هذا الموضع والمقصود هنا انه لا بد من الايمان بالقدر
فان الايمان بالقدر من تمام التوحيد كما قال ابن عباس الايمان
بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده
ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده ولا
بد من الايمان بالشرع وهو الايمان بالامر والنهي والوعد
والوعيد كما بعث الله بذلك رسله وانزل كتبه والانسان
مضطر الى شرع في حيوته الدنيا لانه لا بد له من حركة

هو الرب

.. بجلب هاالمنفعة وحركة بدفع هامضرته والشرع مميز بين
الافعال التي تنفعه والافعال التي تضره وهو عدل الله
في خلقه ونوره بين عباده فلا يمكن الادميين ان يعيشوا جيوب
بلا شرع يميز به مايفعلونه ويتركونه وليس المراد
بالشرع مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم بل الانسان
المنفرد لابد له من فعل وترك فان الانسان هتام حارث
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصدق الاسماء حارث وهمام
وهو معنى قولهم متحرك بالارادة فاذا كان له ارادة هو متحرك
بها فلابد ان يعرف ماير يده هل هو نافع له او ضار وهل
يصلحه او يفسده وهذا قد يعرف بعضه الناس بفطرتهم
كما يعرفون انتفاعهم بالاكل والشرب وما يعرفون ما يعرفون
من العلوم الفطرية بفطرتهم وبعضهم يعرفونه بالاستدلال
الذي يهتدون به بعقولهم وبعضه لا يعرفونه الا بتعريف
الرسل وبيانهم لهم وهدايتهم اياهم وفي هذا المقام يعلم
الناس ان الافعال هل يعرف حسنها وقبحها بالعقل
ام ليس لها حسن وقبح يعرف بالعقل كما قد بسط في غير
هذا الموضع وبينا ما وقع في هذا الموضع من الاشتباه فانهم

اتفقوا على ان كون الفعل يلايم الفاعل او ينافره يعلم بالعقل
وهو ان يكون الفعل سببا لما يجده الفاعل ويلتذ به وسببا
لما يبغضه ويوذيه وهذا القدر يعلم بالعقل تارة وبالشرع
اخرى وهما جميعا اخرى لكن معرفة ذلك على وجه تفصيل
التفصيل ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الافعال
من السعادة والشقاوة في الدار الاخرة لا يعلم الا بالشرع
فالخبر به الرسل من تفاصيل اليوم الاخر وامر به
من تفاصيل الشرايع لا يعلمه الناس بعقولهم كما ان ما اخبرت
به الرسل من تفصيل اسماء الله وصفاته لا يعلمه الناس
بعقولهم وان كانوا قد يعلمون بعقولهم جمل ذلك وهذا
التفصيل الذي يحصل به الايمان وجاء به الكتاب هو
ما دل عليه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما
كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا وقوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب
وقوله تعالى قل انما انذركم بالوحي ولكن طايفة توهمت
ان للحسن والقبح معنى غير هذا وانه يعلم بالعقل وقابلتهم

طايفة اخرى ظنت ان ما جاء به الشرع من الحسن والقبح
يخرج عن هذا فخلا الطايفتين اللتين اثبتتا الحسن والقبح
العقليين او الشرعيين واخرجتاه عن هذا القسم
عطلت ثم ان الطايفتين لما كانت تنكر ان يوصف الله بالمحبة والر
والسخط والفرح ونحو ذلك مما جاءت به النصوص الالهية
ودلت عليه الشواهد العقلية تنازعوا بعد
اتفاقهم على ان الله لا يفعل ما هو منه قبيح هل ذلك
ممتنع لذاته وانه لا يتصور قدرته على ما هو قبيح او
انه سبحانه منزه عن ذلك لا يفعله لمجرد القبح العقلي
الذي اثبتوه على قولين والقولان في الاخرى من جنس
القولين المتقدمين اوليك لم يقروا في خلقه وامره بين
الهدى والضلال والطاعة والمعصية والابرار والفجار
واهل الجنة واهل النار والرحمة والعذاب فلا جعلوه
محمودا على ما فعله من العدل او تركه من الظلم ولا ما
فعله من الاحسان والنعمة وتركه التعذيب والنقمة والاجور
نزهوه بنا على القبح العقلي الذي اثبتوه ولا حقيقة له
وسووه بخلقه فيما يحسن ويقبح وشبهوه بعباده فيما يوصف

كل
مني

سوء ينتهي عنده من ينظر الى القدر فقط وعظم الغناء في توحيد
الربوبية ووقف عند الحقيقة الكونية لم يميز بين العلم
والجهل والصدق والكذب والبر والفجور والعدل والظلم والطاعة
والمعصية والهدى والضلال والرشاد والغي واوليا الله
واعدايه واهل الجنة واهل النار وهما وكلا مع انهم
مخالفون بالضرورة لكتب الله ودينه وشرايعه فهم
مخالفون ايضا لضرورة الحس والذوق وضرورة العقل
والقياس فان احدهم لابد ان يلتذ بشيء ويتالم بشيء يميز
بين ما يوكل ويشرب وبين ما لا يوكل ولا يشرب
وبين ما يوذيه من الحر والبرد وما ليس كذلك
وهذا التمييز بين ما ينفعه وينصره هو الحقيقة الشرعية
الدينية ومن ظن ان البشر ينتهي الى حد لا يشوى عنده
الامر ان دايما فقد افترى وخالف ضرورة الحس ولكن
قد يعرض للانسان بعض الاوقات عارض كالسكر والاغماء
ونحو ذلك مما يشغله عن الاحساس ببعض الامور فاما ان
يسقط احساسه بالطيب مع وجود الجوع فيه وهذا
ممتنع فان القيام لم يسقط احساسه بنفسه بل يرى منامه

ما يسره تارة وما يسوءه أخرى فالاحوال التي يعبر عنها بالاصطلام
والفناء والسكر ونحو ذلك انما تتضمن عدم الاحساس ببعض
الاشياء دون بعض فهي مع نقص صاحبها لضعف تمييزه
لا ينتهي الى حد يسقط فيه التكليف مطلقا ومن بلغ التمييز
في هذا المقام مطلقا وعظم هذا المقام فقد غلط في
الحقيقة الكونية والدينية غلطا قدريا وشرعيا غلط
في خلق الله وفي امره حيث ظن وجود هذا ولا وجود
له وحيث ظن انه ممدوح ولا ممدح في عدم التمييز والعقل
والمعرفة فاذا سمعت بعض الشيوخ يقول اريد ان لا اريد
او ان العارف لا حظ له او انه يصير كالميت بين يدي
الغاسل ونحو ذلك فهذا انما يمدح منه سقوط ارادته
التي لم يؤمر بها وعدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه
وانه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه وترك دفع ما يؤمر بدفعه
ومن اراد بذلك انه تبطل ارادته بالكلية وانه لا يحس
باللذة والالم والنافع والضار فهذا مخالف لضرورة
الحس والعقل ومن مدح هذا فهو مخالف لضرورة الدين
والعقل والفناء يراد به ثلثة امور احدها وهو الفناء

الدين الشرعي الذي جاءت به الرسل وانزلت به الكتب وهو ان يفنا
عالم بامر الله به بفعل ما امر الله به فيفنى عن عبادة غيره بعبادته
وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله وعن التوكل
على غيره بالتوكل عليه وعن محبة ما سواه لمحبته وعن خوف
غيره لخوفه بحيث لا يمنع العبد هواه بغير هدى من الله وبحيث
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما قال تعالى قل ان
كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى يأتي الله بامره فهذا له هو مما امر الله به ورسوله
واما الفناء الذي هو الذي يذكره بعض الصوفية
وهو ان يفنى عن شهود ما سوى الله فيفنى بمعبوده عن
عبادته وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته
بحيث قد يغيب عن شهوده بنفسه وبما سوى الله وهذا
حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين وليس هو من لوازم
طريق الله وهذا لم يعرض مثل هذا للنبي صلى الله
عليه وسلم والسابقين الاولين ومن جعل هذا غاية السالكين

فهو ضال ضلالا مبينا وكذلك من جعله من لوازم طريق الله
فهو مخطئ بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس
دون بعض ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك
واما الثالث فهو الغناء وجود الشيء بحيث يرى
ان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق وان الوجود واحد
بالعين فهذا قول اهل الالحاد والاتحاد الذين هم من اضل
العباد واما مخالفتهم لضرورة العقل والقياس فان الواحد
من هؤلاء لا يمكنه ان يطرد قوله فانه اذا كان
مشاهدا للقدر من غير تمييز بين المامور والمحذور
فعومل بموجب ذلك حتى يبتلى باعظم الاوصاب والاوجاع
فان لم يفعل ذلك بهم وعابه فقد نقض قوله وخرج
عن اصل مذهبه وقيل له هذا الذي فعله مقتضى مقدور
مخلوق الله وقدرته ومشيئته متناول ذلك كله وهو ضر
فبعما فان كان القدر حجة لك فهو حجة لهذا والا فليس بحجة
لا لك ولا له فقد تبين بضرورة العقل فساد قول من ينظر
الى القدر ويعرض عن الامر والنهي والمؤمر بامور بان يفعل
المامور ويترك المحظور ويصبر على المقدور كما قال

الله تعالى وان يصبروا ويغفروا لا ضركم كيدهم شيئا وقال
تعالى في قصة يوسف انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين فالتقوى تعلم امر الله به وترك ما نهى الله عنه وهذا
قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح
بحمد ربك بالعشي والابكار فامره مع الاستغفار بالصبر وان
العباد لا بد لهم من الاستغفار اولهم واخرهم وقال صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح ايها الناس توبوا الى ربكم فوالذي
نفسي بيده اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من
سبعين مرة وقال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله واتوب
اليه في اليوم مائة مرة وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي
وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي
وجدي وخطائي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت
وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني
انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت وقد ذكر
عن ادم ابي البشر انه استغفر ربه وتاب اليه واجتباه
ربه وتاب عليه وهدى وعن ابليس ابي الجن انه اصر
معلقا بالقدر ولعنه واقصاه لمن اذنب وتاب وندم فقد

استبه أباه ومن استبه اباه فما ظلم قال تعالى وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا لمعذب الله المنافقين والمنا فقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المومنين والمومنات
وكان الله غفورا رحيما وهذا قرن سبحانه بين التوحيد
والاستغفار وفي غرايبه كما قال تعالى فاعلم انه لا اله
الا الله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقال
تعالى الركتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
الا تعبدوا الا الله اني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى وفي
الحديث الذي رواه ابن ابي عاصم وغيره يقول الشيطان
اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا اله الا الله
والاستغفار فلما راءيت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم
يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد
ذكر سبحانه عن ذي النون انه نادى في الظلمات ان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال تعالى فاستجبنا
له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين قال النبي صلى
الله عليه وسلم دعوة اخي ذي النون ما دعي بها مكروب

الا فرح الله كربته وجماع ذلك انه لابد في الامر من اصلين
ولابد له في القدر من اصل وفي الامر عليه الاجتهاد في امثال
الامر علما وعملا فلا يزال المجتهد في العلم بما امر الله به والعمل
بذلك ثم عليه ان يستغفر ويتوب من تفريطه في المامور
وتعديه في الحدود وهذا كان من المشروع ان يختم جميع الاعمال
بالاستغفار وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى استغفر
ثلثا وقد قال تعالى والمستغفرين بالاسحار فقاموا الليل ثم
ختموه بالاستغفار واخر سورة نزلت قوله تعالى اذا جاء
نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وفي الصحيح انه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي تاول القرآن
واما في القدر فعليه ان يستعين بالله في فعل ما امره به ويتوكل
عليه ويدعوه ويرغب اليه ويستعيذ به فيكون مفتقرا
اليه في طلب الخير وترك الشر وعليه ان يصبر على المقدور
ويعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه واذا اذاه الناس علم ان ذلك مقدر عليه ومن هذا

الباب احتجاج ادم وموسى قال يا أدم انت ابو البشر خلقك
الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملايكته لماذا اخرج حتنا
ونفسك من الجنه فقال له ادم انت موسى الذى اصطفاك
الله بكلامه فلم وجدت مكتوبا على قبل ان اخلق وعصى
ادم ربه فغوى قال نعم اوكذا سنه قال فحج ادم موسى وذلك
ان موسى لم يكن عتبه لادم لاجل الذنب فان ادم كان قد
تاب منه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولكن لاجل
المصيبة التى لحقتهم من ذلك وهم مامورون ان
ينظروا الى القدر فى المصائب وان يستغفروا من المعايب
كما قال فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك فمن راعى
الامر والقدر كما ذكر كان عابدا لله مطيعا له مستعينا
به متوكلا عليه من الذين انعم الله عليهم من النبيين والصد بقين
والشهداء والصالحين وقد جمع سبحانه بين هذين
الاصلين فى غير موضع كقوله تعالى نعبدك واياك
نستعين وقوله فاعبده واصطبر لعبادته وقوله
تعالى عليه توكلت واليه انيب وقوله ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله

وجهه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا
فالعباده له والاستعانه به وكان صلى الله عليه وسلم يقول
عند الاضحيه اللهم منك ولك وما لم يكن بالله لا يكون فانه لا حول
ولا قوه الا بالله وما لم يكن لله لا ينفع ولا يدوم ولا بد في
عبادته من اصلين احدهما اخلاص الدين له والثاني موافقه
امره الذي بعث به رسله ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله
لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيئا وقال الفضيل
بن عياض في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه
واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم
يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب
ان يكون على السنه ولهذا ذم الله المشركين على اتباع ما
شرع لهم شركاؤهم من الدين الذي لم ياذن به الله من عباده
غيره وفعل ما لم يشرعه من الدين قال تعالى ام لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله كما ذمهم على انهم حرموا
ما لم يحرمه الله والدين الحق انما هو احرام الا ما حرمه الله ولا
دين الا ما شرعه الله ثم ان الناس في عبادته واستعانته

اربعه اقسام والمومنون المتقون هم الذين به يعبدونه
ويستعينونه وطايفه بعده من غير استعانه ولا صبر
فيحد عندهم حدهم تحريا للطاعه والورع ولزوم السنه
لكن ليس لهم توكل واستعانه وصبر وتوكل من غير استقامه
على الامر ولا متابعه للسنه وقد يمكن احدهم ويكون له نوع
من الحال باطنا او ظاهرا ويعطى من المكاشفات والتاثيرات
ما لم يعطه الصنف الاول ولكن لا عاقبه له فانه ايس من المتقين
والعاقبه للمتقوى فالاولون هم دين ضعيف لكنه مستمر باق
ان لم يفسده صاحبه بالجزع والعجز وهو ولاء لاحدهم حال
وقوه ولكن لم يقاله الا ما وافق فيه الامر واتبع فيه السنه
وشر الاقسام من لا يعبده ولا يستعينه فهولاء لا شهد
عليه لله ولا آله بالله فالمعتزله ونحوهم من القدريه الذين
انكروا القدر هم في تعظيم الامر والنهي والوعد والوعيد
خير من هولاء الجبريه الذين يعرضون عن الشرع والامر
والنهي والصوفيه هم في القدر ومشاهده توحيدهم
الربوبيه خير من المعتزله ولكن فيهم من فيه بدع مع
اعراض عن بعض الامر والنهي والوعد والوعيد حتى

جعلوا الغايه هي مشاهده توحيد الربوبيه والفنا
في ذلك ويصيرون ايضا معتزلين لجماعه المسلمين وسنتهم فهم
معتزله من هذا الوجه وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعه
شرا من بدعه اولئك المعتزله وهذا الطائفتين نشأت
من البصره وانما دين الله ما بعث به رسله وانزل به كتبه
وهو الصراط المستقيم وهو طريقه اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير القرون وافضل الامه واكرم
الخلق على الله بعد النبيين والله تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه فرضي عن السابقين
الاولين رضي مطلقا ورضي عن التابعين لهم باحسان
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث
الصحيحه خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم وكان عبد الله بن مسعود يقول
من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا
يؤمن عليه الفتنه اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ابر هذه الامه قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوما

اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه
فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى
المستقيم وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا
معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم
فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن اخذتم
يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا وقال عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال
هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل
منها شيطان يدعوا اليه ثم قرا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
وقد امرنا الله ان نقول في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم
والنصارى ضالون وذلك ان اليهود عرفوا الحق
ولم يتبعوه والنصارى عبدوا الله بغير علم ولهذا كان
يقال نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل

فان فتنتهما فتنة لكل مفتون وقال تعالى فاما يأتينكم
منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى قال
ابن عباس رضى الله عنه تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما
فيه ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة وقرأ هذه
الاية وكذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما
رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون فاخبر انهم لا يهتدون مفلحون وذلك
خلاف المغضوب عليهم والضالين فنسأل الله العظيم
ان يهدينا وسائر اخواننا صراط المستقيم صراط الذين
انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

تم بحمد الله الكريم المدد

ولله الحمد فى كل كره وعسه

على يد العبد المذنب موسى بن عبد الله الحجلى عفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

1

تحفة الكفر اليم
تعالى عثمانه الخطيب
الدومانى
١٣٢٩هـ

ELS M 3947
قاعدة في الصفات والعقد لابن
تيميه خط موسى بن عبد الله الحبلي
٧١٩

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
GIFT OF ROBERT GARRETT '97